تفسير سورة النبإ

دراسة تحليلية

دكتور

شعبان محمد عطية

أستاذ التفسير وعلوم القرآن المساعد بالكلية

تفسير سورة النبإ دراسة تحليلية

شعبان محمد عطية

قسم التفسير وعلوم القرآن

البريد الالكتروني: shabanmhammed32@gmail.com

الملخص:

لما كانت سورة النبإ من أشهر سور القرآن الكريم ، حيث يسمى الجزء الأخير من القرآن باسمها، وكانت هذه السورة من السور التي تناولت كليات الدين الأساسية من الإيمان بالله واليوم الآخر وأحداثه مع إقامة الأدلة والبراهين على إمكانية ذلك وأهميته، ونظرا لدور الإيمان بالله واليوم الآخر في صلاح الفرد والمجتمع ، فقد آثرت أن أتناول هذه السورة بالدراسة والتحليل ، رغبة مني في المساهمة بشيء في خدمة كتاب الله عز وجل ، وكذلك محاولة مني لإبراز مدى التوافق المذهل بين ما أشارت إليه نصوص القرآن وبين ما توصل إليه العلم الحديث من قضايا تؤكد على مصداقية هذا الكتاب ، وأنه تنزيل من لدن حكيم عليم.

والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

النتائج

وبعد هذه الجولة السريعة مع تفسير سورة النبإ تبين ما يأتي

١- أن سورة النبأ سورة مكية بالإجماع، وعدد آياتها أربعون آية .

٢- أن الموضوع الأبرز لسورتنا هو قضية البعث ، وما يتعلق به.

٣ – أن الإنسانية منقسمة على نفسها في شأن ما جاء به أنبياء الله ورسله صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

٤– أنه لا حق للمكذبين بالبعث بعد وضوح الأدلة وظهور البراهين.

٥ – أن القرآن قد سلك مع المخالفين مسلك الحجة والبرهان توصلا لإقناع المنصفين .

٦– تعتبر الأدلة الحسية أحدى الأساليب القرآنية في عرض موضوعاته.

٧–لا دليل يعتمد عليه للمنكرين للبعث ، وإنما هي مجرد محاولات يائسة أشد شبها بمن ينكر ضوء الشمس من رمد.

التوصيات

١– ضرورة العناية بالدراسات القرآنية المواكبة لظروف العصر الحديث.

٢– العمل على الاستغلال الأمثل لما توصلت إليه الإنسانية من وسائل الاتصال الحديثة لتوضيح صورة الإسلام الرائعة التي يحاول المجرمون طمسها.

٣– العمل على توفير ما يلزم من المال، والجهد ، ووسائل الاتصال للوصول إلى كل من يمكن الوصول إليه من البشر ودعوتهم إلى هذا الدين الحق بعيدا عما يبثه الأعداء والجاهلون من سموم حول هذا الدين العظيم.

الكلمات المفتاحية: تفسير – النبإ – البعث.

Interpretation of Surah Al-Nabaa analytical study

Shaban Mohammed Attia

Department of interpretation and Quran Sciences

E-mail address: shabanmhammed32@gmail.com

Abstract:

Given the role of faith in God and the last day in the well-being of the individual and society, I chose to address this Surah with study and analysis, in order to contribute something to the service of the book of God Almighty, as well as an attempt to highlight the amazing compatibility between the texts of the Qur'an and the findings of modern science that confirm the credibility of this book, and that it is a download from the wise and knowledgeable .

God is the guide and the guide to both ways.

Results

After this quick tour with the interpretation of Surah Al-Nabaa show what comes

1-that Surah Al-Naba Surah Meccan unanimously, and the number of verses forty.

2-the most prominent topic of our Surat is the BA'ath issue, and related to it.

3-humanity is divided against itself in regard to what the prophets of God and his messengers came to the prayers and peace of all of them.

4-there is no right for the liars to resurrect after the evidence is clear and proofs appear.

5- the Qur'an has taken the path of argument and proof with the violators to convince the just.

6-sensory evidence is one of the Quranic methods in presenting its subjects.

7 -there is no reliable evidence for those who deny the resurrection, but they are just desperate attempts more like those who deny the light of the sun than Ramad.

Recommendations

1-the need to take care of Quranic studies to keep pace with the conditions of modern times.

2-work to make the best use of the modern means of communication reached by humanity to clarify the wonderful image of Islam that criminals are trying to obliterate.

3-work to provide the necessary money, effort, and means of communication to reach all accessible human beings and invite them to this true religion away from the poisons that enemies and ignorant people spread about this great religion.

Key words: interpretation – the Prophet-The Resurrection.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خير النبيين : سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

وبعد

فإن علم التفسير من أهم العلوم وأعظمها ، إذ إنه الوسيلة التي لابد منها لفهم كلام الله عز وجل ، قال تعالى : (كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ)[1]، فالآية الكريمة نص على أن الحكمة من إنزال القرآن : التدبر ، والتذكر ، والاتعاظ، ولا سبيل إلى ذلك دون فهمه وتفسيره ، فكيف يتصور أن يتدبر الإنسان القرآن الكريم ، ويتعظ به ، وهو لا يفهم المراد من ألفاظه ؟.ورحم الله الإمام ابن جرير إذ يقول :" إني لأعجب ممن قرأ القرآن ، و لم يعلم تأويله ، كيف يلتذ بقراءته[2]

وأيضا : من فضائل علم التفسير عظيم تعلقه بأشرف الكلام وأحسنه ، وأصدقه ، وأحكمه ، وأعظمه بركة ، وأجله قدرا، فعن أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : «من شغله قراءة القرآن عن مسألتي وذكري، أعطيته أفضل ثواب السائلين. وفضل كلام الله على

---

(١) – سورة ص ، آية : ٢٩

(٢) – معجم الأدباء ياقوت الحموي ٦/ ٢٤٥٣ دار الغرب الإسلامي، بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٤ هـ – ١٩٩٣ م

سائر الكلام، كفضل الله على خلقه[1]» ، وعليه ، فالعمل بالتفسير هو من باب الاشتغال بأعظم الكلام وأفخمه تعلما ومدارسة وتفهما، ومن هنا ، فإن المشتغل بالتفسير يكتسب ثروة هائلة من أسرار القرآن وكنوزه، وأنواره وهداياته؛ وكلما أخلص الدارس كلما وجد آثارا عظيمة لتلك المدارسة ، تتمثل في بركة يجدها الدارس في نفسه وأهله وماله.

ومن أجل هذا يعتبر علم التفسير من أجل العلوم وأشرفها ، إذ إن شرف العلم – كما يقال – بشرف المعلوم ، و معلوم هذا العلم : القرآن العظيم .

يقول الإمام السيوطي نقلا عن الإمام الأصبهاني : أشرف صناعة يتعاطاها الإنسان : تفسير القرآن ، بيان ذلك : أن شرف الصناعة إما بشرف موضوعها ، وإما بشرف غرضها ، وإما بشدة الحاجة إليها.

---

(١) – أخرجه الدارمي في سننه في كتاب فضائل القرآن – باب فضل كلام الله على سائر الكلام حديث رقم ٣٣٩٩ ، وقال محققه حسين سليم أسد: في إسناده ضعيفان: محمد بن الحسن الهمداني وعطية العوفي . وذكره مرة أخرى في نفس اكتاب والباب برقم ٣٤٠٠ ، وقال : إسناده حسن وهو مرسل. سنن الدارمي دار المغني للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية ، الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ – ٢٠٠٠ م ، لكن أخرجه ابن عساكر موصولا في معجم الشيوخ حيث رقم ٨٨٤ ، دار البشائر – دمشق الطبعة: الأولى ١٤٢١ هـ – ٢٠٠٠ م ، وذكره البيهقي في الأسماء والصفات من طرق عدة برقم ٥٠٦ باب قول الله عز وجل : (لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ بَعْدُ)، حديث رقم : ٥٠٩. مكتبة السوادي، جدة – المملكة العربية السعودية ، الطبعة: الأولى، ١٤١٣ هـ – ١٩٩٣ م. والبيهقي في شعب الإيمان حديث رقم ١٨٦٠ ، وأخرجه الترمذي في أبواب فضائل القرآن باب ٢٥ حديث (٢٩٢٦) وقال: حسن غريب. قلت : الحديث بمجموع طرقه جسن.

أما من جهة الموضوع ، فلأن موضوعه : كلام الله تعالى الذي هو ينبوع كل حكمة ، ومعدن كل فضيلة ، فيه نبأ ما قبلكم ، وخبر ما بعدكم ، وحكم ما بينكم ، لا يخلق على كثرة الرد ، ولا تنقضي عجائبه.

وأما من جهة الغرض ، فلأن الغرض منه هو الاعتصام بالعروة الوثقى ، والوصول إلى السعادة الحقيقية التي لا تفنى.

وأما من جهة شدة الحاجة ، فلأن كل كمال ديني أو دنيوي عاجلي أو آجلي مفتقر إلى العلوم الشرعية والمعارف الدينية ، وهي متوقفة على العلم بكتاب الله تعالى[1]."اهـ

إذن فعلم التفسير من المهمات التي لا غنى عنها .

- ذلك لأن موضوعه : كلام الله سبحانه الذي هو المصدر الأول للتشريع الإسلامي ، وبدون فهمه لن يستطيع المسلم أن يعبد ربه بطريقة سليمة .

- ولأن معرفة التفسير ضرورة لا غنى عنها في استنباط الأحكام الفقهية من خلال الآيات ، فالتفسير يضعك في قلب الآية ، ويقوم بتحليلها لك ، بحيث تستطيع الخروج بالرأي الفقهي السليم .

- ولأن علم التفسير يبين لك الآيات الناسخة من المنسوخة من خلال الوقوف على ما كتب أئمة التفسير في ذلك.

---

(١) - الإتقان للإمام السيوطي ج٤/ ١٩٩ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، طبعة: ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤ م

– ولأن علم التفسير يحملك على إتقان علوم اللغة ، ومعرفة أسباب النزول ، والمحكم والمتشابه ، والعام والخاص ، والمطلق والمقيد من آي الذكر الحكيم .

– ولأن معرفة التفسير تعين على حفظ القرآن الكريم ، لأن الحفظ مع الفهم الواضح لآيات القرآن الكريم يجعلك قادرا على سرعة الحفظ مع تثبيت الحفظ لديك لأنك تحفظ ما تفهم سريعا.

ولما كان التفسير بهذه المنزلة .وكانت سورة النبإ من أشهر سور القرآن الكريم ، حيث يسمى الجزء الأخير من القرآن باسمها ، وكانت هذه السورة من السور التي تناولت كليات الدين الأساسية من الإيمان بالله واليوم الآخر وأحداثه مع إقامة الأدلة والبراهين على إمكانية ذلك وأهميته، ونظرا لدور الإيمان بالله واليوم الآخر في صلاح الفرد والمجتمع ، فقد آثرت أن أتناول هذه السورة بالدراسة والتحليل ، رغبة مني في المساهمة بشيء في خدمة كتاب الله عز وجل ، وكذلك محاولة مني لإبراز مدى التوافق المذهل بين ما أشارت إليه نصوص القرآن وبين ما توصل إليه العلم الحديث من قضايا تؤكد على مصداقية هذا الكتاب ، وأنه تنزيل من لدن حكيم عليم ، وذلك لنزوله على سيد ولد آدم النبي الأمي – صلى الله عليه وسلم – قبل أكثر من أربعة عشر قرنا من الزمان ، وبه من الإشارات العلمية التي لم تصل إليها الإنسانية إلا في عصرنا هذا ، وكلما تقدمت الإنسانية في مجال البحث العلمي ستكتشف أكثر وأكثر مدى مصداقية هذا التنزيل العظيم وواقعيته ، ولو أنصفت الإنسانية لجعلت هذا

الكتاب المجيد قائدها ومرشدها ، ومنهاجها ، وإمامها ، ولكن يا سبحان الله :(فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ)[1]

وقد اشتمل هذا البحث على مقدمة ، ومطلبين ، وخاتمة.

أما المقدمة ، فقد تكلمت فيها عن أسباب اختياري لهذا الموضوع ، وأهميته.

وأما المطلب الأول ، فقد تكلمت فيه عن التعريف بالسورة الكريمة.

وأما المطلب الثاني ، فقد تناولت فيه آيات السورة الكريمة بالدراسة والتحليل.

وأما الخاتمة ، فقد تحدثت فيها عن أهم النتائج والمقترحات

.والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

د / شعبان محمد عطية

(١) – سورة الحج ، آية : ٤٦

المطلب الأول: التعريف بسورة النبأ

يقول الله تعالى:

بسم الله الرحمن الرحيم

(عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ (١) عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ (٢) الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ (٣) كَلَّا سَيَعْلَمُونَ (٤) ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ (٥) أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا (٦) وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا (٧) وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا (٨) وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا (٩) وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا (١٠) وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا (١١) وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا (١٢) وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا (١٣) وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا (١٤) لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا (١٥) وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا (١٦) إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا (١٧) يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا (١٨) وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا(١٩) وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا (٢٠) إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا (٢١) لِلطَّاغِينَ مَآبًا (٢٢) لَابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا (٢٣) لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا (٢٤) إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا (٢٥) جَزَاءً وِفَاقًا (٢٦) إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا (٢٧) وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّابًا (٢٨) وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا(٢٩) فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا (٣٠) إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا (٣١) حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا (٣٢) وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا (٣٣) وَكَأْسًا دِهَاقًا (٣٤) لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّابًا (٣٥) جَزَاءً مِنْ رَبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا (٣٦) رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا (٣٧) يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا (٣٨) ذَلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ مَآبًا (٣٩) إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَالَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا (٤٠)

هذه السورة هي أول سورة في الجزء الأخير من القرآن الكريم ، والذي يشتمل على سبع وثلاثين سورة ، والتعريف بهذه السورة الكريمة على النحو الآتي:

أولا : اسم السورة :

للسورة الكريمة عدة أسماء هي :

أ – سورة النبأ ، لقوله تعالى في السورة الكريمة : (عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ) ، وهذا أشهر أسمائها ، وبه تعرف في مصاحفنا ، والسورة من أولها إلى آخرها حديث عنه.

ب – سورة التساؤل ، لأن الله قال فيها : (عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ).

ج – سورة عم يتساءلون ، لقوله سبحانه : (عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ)، وبه تشتهر بين تلاميذ مكاتب التحفيظ.

د – سورة (عم) ، نسبة لافتتاح السورة الكريمة بهذا اللفظ الكريم.

هـ – سورة المعصرات لقوله سبحانه : (وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا).

قال الشيخ ابن عاشور: سميت هذه السورة في أكثر المصاحف وكتب التفسير : «سورة النبأ» لوقوع كلمة «النبأ» في أولها. وسميت في بعض المصاحف وفي «صحيح البخاري[1]» وفي «تفسير ابن عطية[2]»

---

(١) – الجامع الصحيح للإمام البخاري ٢٠٥/٦. طبعة دار الشعب – القاهرة الطبعة الأولى ١٩٨٧ م

(٢) – المحرر الوجيز لابن عطية ٤٢٣/٥. دار الكتب العلمية – بيروت ، الطبعة الأولى – ١٤٢٢ هـ

و«الكشاف[١]»: «سورة : (عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ) . وفي «تفسير القرطبي[٢]» سماها «سورة عم» أي بدون زيادة «يَتَسَاءَلُونَ» تسمية لها بأول جملة فيها. وتسمى «سورة التساؤل» لوقوع «يَتَسَاءَلُونَ» في أولها. وتسمى «سورة المعصرات» لقوله تعالى فيها: (وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا) . فهذه خمسة أسماء. واقتصر في «الإتقان[٣]» على أربعة أسماء: عم، والنبأ، والتساؤل ، والمعصرات[٤].

هذا ، وكثرة الأسماء دلالة على شرف المسمى على ما هو معروف عند العرب .

قال الفيروز آبادي[٥]: (اعلم أن كثرة الأسماء تدل على شرف المسمى أو كماله في أمر من الأمور ، أما ترى أن كثرة أسماء الأسد دلت على كمال قوته ، وكثرة أسماء القيامة دلت على كمال شدته وصعوبته ، وكثرة أسماء الداهية دلت على شدة نكايتها ، وكذلك كثرة أسماء الله تعالى دلت

---

(١) – الكشاف للزمخشري ٦٨٣/٤، دار الكتاب العربي – بيروت الطبعة الثالثة – ١٤٠٧هـ

(٢) – الجامع لأحكام القرآن ١٦٩/١٩. وعبارته : سورة (عم) مكية وتسمى سورة (النبأ) طبعة دار الكتب المصرية – القاهرة الطبعة الثانية، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤ م

(٣) – الإتقان في علوم القرآن للسيوطي ١٩٦/١، طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤ م

(٤) – التحرير والتنوير لابن عاشور ٥/٣٠، الدار التونسية للنشر – تونس ١٩٨٤ هـ

(٥) – هو محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم بن عمر، أبو طاهر، مجد الدين الشيرازي الفيروزآبادي: من أئمة اللغة والأدب. انتشر اسمه في الآفاق، حتى كان مرجع عصره في اللغة والحديث والتفسير، وتوفي في زبيد سنة : ٨١٧ هـ.الأعلام للزركلي ٧/ ١٤٦

على كمال جلال عظمته ، وكثرة أسماء النبي – صلى الله عليه وسلم – دلت على علو رتبته وسمو درجته ، وكذلك كثرة أسماء القرآن دلت على شرفه وفضيلته(١).

وقال الشيخ علي الهروي : وفي الجملة كثرة الأسماء تدل على شرف المسمى المشعرة بكثرة النعوت والأوصاف(٢).

٢ – عدد آيات السورة : الذي عليه مصاحفنا أنها أربعون آية.

قال الشيخ ابن عاشور: وعد آيها أصحاب العدد من أهل المدينة والشام والبصرة : أربعين. وعدها أهل مكة وأهل الكوفة : إحدى وأربعين آية(٣).

٣– زمن نزول السورة :مكية بالإجماع(٤) .قال الشيخ ابن عاشور : وهي مكية بالاتفاق(٥).

قال الإمام الشوكاني: مكية عند الجميع(٦).

---

(١) – بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي ٨٨/١. الناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة. طبعة : ١٤١٦ هـ – ١٩٩٦ م

(٢) – شرح الشفا للشيخ علي الهروي١/ ٤٨٩ دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة الأولى، ١٤٢١ هـ

(٣) – التحرير والتنوير لابن عاشور٣٠/٥

(٤) – مفاتيح الغيب للرازي ج ٣١/ ٥. والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٦٩/١٩

(٥) – التحرير والتنوير لابن عاشور٣٠/٥ والتفسير الوسيط للدكتور محمد سيد طنطاوي ١٥/ ٢٤٥

(٦) – فتح القدير للشوكاني ٤٣٧/٥

٤- صلتها بما قبلها :

ترتبط سورتنا بما قبلها ارتباطا وثيقا ، أهلها ذلك لأن تكون بعدها مباشرة، يتضح ذلك من خلال النقاط الآتية :

أ- السورتان مكيتان .

ب- سورة النبأ بدأت بما ختمت به سورة المرسلات حيث نلاحظ أن المرسلات ختمت بقوله سبحانه : (فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ) ، والنبأ بدأت بقوله سبحانه : (عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ) ، ووجه الشبه بينهما أن المرسلات ختمت بالسؤال ، وهو نفس بداية النبأ ، هذا أولا .

وثانيا : أن الحديث في الآيتين عن الكفار .

وثالثا : أن موضوع السؤال في الآيتين واحد ، وهو البعث .

قال الإمام أبو حيان : لما ذكر : (فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ) ، أي بعد الحديث الذي هو القرآن، وكانوا يتجادلون فيه ، ويسائلون عنه ، قال: (عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ)[1]. وقال الإمام البقاعي: لما أخبر في المرسلات بتكذيبهم بيوم الفصل ، وحكم على أن لهم بذلك الويل المضاعف المكرر، وختمها بأنهم إن كفروا بهذا القرآن لم يؤمنوا بعده بشيء، افتتح هذه بأن ما خالفوا فيه ، وكذبوا الرسول – صلى الله عليه وسلم – في أمره لا يقبل النزاع لما ظهر من بيان القرآن لحكمة الرحمن التي لا يختلف فيها اثنان مع الإعجاز في البيان، فقال معجبا منهم غاية العجب ، زاجرا لهم ، ومنكرا عليهم ، ومتوعدا لهم ، ومفخما للأمر بصيغة الاستفهام ، منبها

(١) – البحر المحيط لأبي حيان ٣٨٣/١٠

على أنه ينبغي أن لا يعقل خلافهم، ولا يعرف محل نزاعهم، إعلاما بأن ما يختلفون فيه لوضوحه لا يصدق أن عاقلا يخالف أمره فيه ، وأنه لا ينبغي التساؤل إلا عما هو خفي[١]

جـ – السورتان اشتملتا على ذكر جملة من دلائل القدرة الإلهية ، ففي المرسلات يقول سبحانه :(أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا ، أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا ، وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ وَأَسْقَيْنَاكُمْ مَاءً فُرَاتًا)[٢] وفى النبأ : (أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا ، وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ، وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا)[٣] الخ

د– السورتان تحدثتا عن يوم القيامة ، وبعض أحداثه ، وسمتاه باسم واحد ، وهو يوم الفصل ، ففي سورة المرسلات ، يقول سبحانه : (فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ ، وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ ، وَإِذَا الْجِبَالُ نُسِفَتْ ، وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ ، لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ ، لِيَوْمِ الْفَصْلِ ، وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ)[٤] الخ ، وفى النبأ : (إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا ، يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا)[٥]

هـ – السورتان تحدثتا عن جزاء المتقين والكفار ، ففي المرسلات فيما يتعلق بالكفار يقول تعالى : (هَذَا يَوْمُ لَا يَنْطِقُونَ ، وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ، وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ، هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْنَاكُمْ وَالْأَوَّلِينَ ، فَإِنْ

(١) – نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي ١٩٠/٢١. دار الكتاب الإسلامي، القاهرة

(٢) – سورة المرسلات ، الآيات من ٢٥ : ٢٧

(٣) – سورة النبإ الآيات من ٦ : ٨

(٤) – سورة المرسلات الآيات من ٨ : ١٤

(٥) – سورة النبإ آية ١٧، ١٨

كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ ، وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ)[1] ، وفيما يتعلق بالمتقين ، يقول سبحانه :(إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ ، وَفَوَاكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ، كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ، إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ)[2]، وفى سورة النبأ يقول سبحانه عن الكفار : (إِنَّ جَهَنَّمَ كانَتْ مِرْصاداً ، لِلطَّاغِينَ مَآبًا ، لَابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا ، لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ، إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا)[3] الخ ، وعن المتقين يقول سبحانه : (إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ، حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا ، وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ، وَكَأْسًا دِهَاقًا ، لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّابًا ، جَزَاءً مِنْ رَبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا)[4] الخ ، إلى غير ذلك من أوجه التشابه بين السورتين الكريمتين .

قال الشيخ المراغي: ومناسبتها لما قبلها من وجوه:

١- اشتمالها على إثبات القدرة على البعث الذي ذكر في السورة السالفة أن الكافرين كذبوا به.

٢ - أن في هذه وما قبلها تأنيبا وتقريعا للمكذبين، فهناك قال: (أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ ماءٍ مَهِينٍ) وهنا قال: (أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهاداً) .

٣ - أن في كل منهما وصف الجنة والنار وما ينعم به المتقون، ويعذب به المكذبون.

---

(١) - سورة المرسلات ، الآيات من ٣٥ : ٤٠

(٢) - نفس السورة السابقة من ١٤ : ٤٤

(٣) - سورة النبإ الآيات من ١٢ : ٢٥

(٤) - السورة السابقة من ٣١ : ٣٦

٤ – أن في هذه تفصيل ما أجمل في تلك عن يوم الفصل، فهناك قال: (لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ. لِيَوْمِ الْفَصْلِ. وَما أَدْراكَ ما يَوْمُ الْفَصْلِ) وهنا قال : (إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كانَ مِيقاتاً) ، إلى آخر السورة(١).

٥ – أهم الموضوعات التي اشتملت عليها الموضوعات الكريمة :

بما أن هذه السورة مكية ، فقد اشتملت على ما يشتمل عليه القرآن المكي من موضوعات العقيدة غالبا، وذلك على النحو التالي :

أ – توبيخ المشركين على تكذيبهم – بدون علم – للقران الكريم ، وبالذات فيما يتعلق بالبعث، وتهديدهم بسوء المصير، إذا هم استمروا على ذلك.

ب – إقامة الأدلة المتعددة الدالة على قدرة الله – تعالى – على بعث من في القبور .

جـ – بيان ما أعده الله – سبحانه – للكافرين من عقاب ، وما أعده للمتقين من ثواب.

د – إنذار للناس بوجوب تقديم العمل الصالح من قبل أن يأتي يوم القيامة ، الذي لا ينفع فيه الندم على ما فات .

قال الشيخ ابن عاشور: اشتملت هذه السورة على وصف خوض المشركين في شأن القرآن وما جاء به مما يخالف معتقداتهم، ومن ذلك إثبات البعث، وسؤال بعضهم بعضا عن الرأي في وقوعه مستهزئين

---

(١) – تفسير المراغي للشيخ المراغي ٣/٣٠ مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر الطبعة الأولى، ١٣٦٥ هـ – ١٩٤٦ م

بالإخبار عن وقوعه. وتهديدهم على استهزائهم. وفيها إقامة الحجة على إمكان البعث بخلق المخلوقات التي هي أعظم من خلق الإنسان بعد موته وبالخلق الأول للإنسان وأحواله. ووصف الأهوال الحاصلة عند البعث من عذاب الطاغين مع مقابلة ذلك بوصف نعيم المؤمنين.

ثم وصف – سبحانه – يوم الحشر إنذارا للذين جحدوا به والإيماء إلى أنهم يعاقبون بعذاب قريب قبل عذاب يوم البعث. وأدمج في ذلك أن علم الله تعالى محيط بكل شيء ومن جملة الأشياء : أعمال الناس[1].

(١) – التحرير والتنوير لابن عاشور ٦/٣٠

المطلب الثاني : تفسير آيات السورة الكريمة

الموضوع الأول : موقف الكفار من البعث

قال تعالى : (عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ، عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ ، الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ، كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ، ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ)[1]

<u>– المباحث العربية</u>

–(عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ) : لفظ (عم) مركب من كلمتين، هما حرف الجر (عن) و (ما) التي هي اسم استفهام، فأصل هذا اللفظ: (عن ما) فأدغمت النون في الميم ، لأن الميم تشاركها في الغنة، وحذفت الألف ليتميز الخبر عن الاستفهام. والجار والمجرور متعلق بفعل (يتساءلون) ، وأصل ترتيب الكلام : يتساءلون عن ما، فقدم اسم الاستفهام لأن له الصدارة في الكلام المستفهم به[2].

والتساؤل: تفاعل من السؤال، وحقيقة صيغة التفاعل تفيد صدور معنى المادة المشتقة منها من الفاعل إلى المفعول وصدور مثله من المفعول إلى الفاعل ، وذلك على سبيل معرفة وجه الحق فيه، أو على سبيل التهكم. أي : عن أي شيء يتساءل هؤلاء فيما بينهم[3] ؟

–(عَنِ النَّبَإِ) : النبأ : الخبر مطلقا، ويرى بعضهم : أنه الخبر ذو الفائدة العظيمة. قال الراغب: «النبأ : الخبر ذو الفائدة العظيمة ، يحصل به

---

(١) – سورة النبإ ، الآيات من ١ : ٥

(٢) – مفاتيح الغيب للرازي ٣١/٥، بتصرف.

(٣) – التحرير والتنوير لابن عاشور ٣٠/ ٧

علم، أو غلبة ظن ، ولا يقال للخبر : نبأ حتى يتضمن هذه الأشياء الثلاثة ، ويكون صادقا». والمراد به : يوم البعث ، وقيل : القرآن ، وقيل: مبعث رسول الله – صلى الله عليه وسلم – . وعن النبإ العظيم : كلام مستأنف مسوق لبيان ذلك الشيء ، فهو متعلق بمحذوف دل عليه يتساءلون.

–(كَلَّا) : كلمة ردع لهم وزجر ، . أي كفوا عن هذا الاختلاف والتساؤل وتوقفوا ، وقيل : هي نفي لاختلافهم ، والمعنى : ليس الأمر كما قالوا ، وكرر التهديد للتوكيد . والمعنى (سَيَعْلَمُونَ) عما قريب عاقبه تكذيبهم حين ينكشف الأمر يعني في يوم القيامة. والواقع من لفظ (كلا) في القرآن الكريم ثلاث وثلاثون موضعا في خمس عشرة سورة ، وهي كلها في النصف الأخير منه ، وكلها سور مكية[1].

–(ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ) ، تكرير للردع والوعيد للمبالغة في التأكيد والتشديد . والسين للتقريب والتأكيد . و " ثم " للدلالة على أن الوعيد الثاني أبلغ وأشد ، وقيل : لا تكرار ، لأن الوعيد الأول عند النزع ، والثاني عند القيامة ، وقيل : الأول للبعث ، والثاني للجزاء[2].

---

(١) – الميزان في أحكام تجويد القرآن فريال زكريا العبد ص : ٢٢٩ دار الإيمان – القاهرة

(٢)– استفدت معاني الكلمات من البحر المحيط لأبي حيان ، والمفردات للراغب الأصفهاني ، والتحرير والتنوير للطاهر بن عاشور ، والتفسير الوسيط لفضيلة الدكتور/ محمد سيد طنطاوي ، كل عند تفسير السورة الكريمة.

القراءات

– قرأ ابن عامر[١] وحمزة[٢] : (سَتَعْلَمُونَ) ، بالتاء على وجه المخاطبة. وقرأ الباقون بالياء، على معنى الخبر عنهم[٣].قال الشيخ أبو السعود رحمه الله : وقرئ ستعلمون بالتاء على نهج الالتفات الى الخطاب الموافق لما بعده من الخطابات تشديدا للردع والوعيد لا على تقدير قل لهم كما توهم[٤]

من أسرار التعبير

– قوله (عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ) ، افتتحت السورة بالاستفهام عن تساؤلهم عن النبأ العظيم تشويقا وتهويلا لما سيذكر بعده. قال العلامة الآلوسي:

---

(١) – ابن عامر هو أبو عمران عبد الله بن عامر بن يزيد بن تميم بن ربيعة اليحصبي، إمام جامع دمشق وقاضيها وشيخ الإقراء بها، إمام كبير وتابعي جليل؛ ولد سنة إحدى وستين ومات سنة مائة وثمان عشرة. شرح طيبة النشر في القراءات لابن الجزري، ص :١٠

(٢) – حمزة : هو أبو عمارة حمزة بن حبيب بن عمارة بن إسماعيل الكوفي الزيات. ولد سنة ثمانين، وكان إمام الناس في القراءة بالكوفة بعد عاصم والأعمش، وكان ثقة كبيرا حجة مجوّدا فرضيّا نحويّا حافظا للحديث، ورعا زاهدا خاشعا ناسكا، مات سنة مائة وست وخمسين، المرجع السابق ص : ١١ مترجم له في ميزان الاعتدال ١/ ٦٠٥، شذرات الذهب ١/ ٢٤٠.

(٣) – النشر في القراءات العشر لابن الجزري ٢/ ٣٨٠. المطبعة التجارية الكبرى [تصوير دار الكتاب العلمية]

(٤) – إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم لأبي السعود ٩ /٨٦ دار إحياء التراث العربي – بيروت

والاستفهام بالإيذان بفخامة شأن المسئول عنه ، وهوله ، وخروجه عن حدود الأجناس المعهودة ، أي عن أي شيء عظيم الشأن (يَتَسَاءَلُونَ)[1]

– قوله : (يَتَسَاءَلُونَ) ، التساؤل: تفاعل وحقيقة صيغة التفاعل تفيد صدور معنى الفعل من الفاعل إلى المفعول وصدور مثله من المفعول إلى الفاعل، وترد كثيرا لإفادة تكرر وقوع ما اشتقت منه نحو قولهم: ساءل ، بمعنى: سأل، قال النابغة:

أُسَائِلُ عَنْ سُعْدَى وَقَدْ مَرَّ بَعْدَنَا ... عَلَى عَرَصَاتِ الدَّارِ سَبْعٌ كَوَامِلُ[2]

وقال رويشد بن كثير الطائي:

يَا أَيُّهَا الرَّاكِبُ الْمُزْجِي مَطِيَّتَهُ ... سَائِلْ بَنِي أَسَدٍ مَا هَذِهِ الصَّوْتُ[3][4]

---

(١) – روح المعاني عند تفسير الآية ١٥/ ٢٠٢ ، دار الكتب العلمية – بيروت ، الطبعة الأولى، ١٤١٥ هـ

(٢) – ديوان النابغة الذبياني ص ٦٤ بدون تاريخ. والعرصات: جمع عرصة ، وهي وسط الدار . وسبع كوامل : أي سبع سنين

(٣) –التحرير والتنوير للشيخ الطاهر بن عاشور ٣٠/ ٧. طبعة : الدار التونسية للنشر – تونس ١٩٨٤ هـ

(٤) – دواوين الشعر العربي على مر العصور ص ٣٧/ ٤٤٣ ، بدون تاريخ. وانظر لسان الغرب لابن منظور حرف التاء فصل الصاد المهملة ٥٧/٢ دار صادر – بيروت – الطبعة الثالثة – ١٤١٤ هـ ، لمزجي هو السائق ، والصوت جلبتهم وصيحتهم تهكما عليهم ، وقيل : أراد بالصوت ما يبلغه عنهم وأنهم إن لم يعتذروا عاقبهم. شرح ديوان الحماسة للتبريزي بتصرف ٤٧/١، دار القلم – بيروت

وقد يجيء تفاعل بمعنى فعل غير متعدد الفاعل كتوانى زيد ، وتدانى الأمر ، (تَعالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ) [1] كثير جدا [2]

– وصف– سبحانه– النبأ بالعظم، زيادة في هذا التهويل والتفخيم من شأنه. قال الشيخ ابن عاشور : ووصف النبإ ب العظيم هنا زيادة في التنويه به ، لأن كونه واردا من عالم الغيب زاده عظم أوصاف وأهوال.[3]

– قوله : (الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ) ، التعبير بالجملة الاسمية في صلة الموصول لإفادة أن الاختلاف في أمر هذا النبأ متمكن منهم ، ودائم فيهم.

وتقديم قوله: (فِيهِ) للاهتمام بالمجرور ، وللإشعار بأن الاختلاف ما كان من حقه أن يتعلق به، مع ما في التقديم من رعاية الفاصلة[4].

– قوله:(ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ) كررت هذه الجملة مبالغة في التهديد والوعيد، يقول صاحب التفسير الوسيط: والجملة الثانية ، وهي قوله: (ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ) جيء بها لزيادة التهديد والوعيد، ولبيان أن الوعيد الثاني أشد وأبلغ من الوعيد الأول[5].

– حذف مفعول (سَيَعْلَمُونَ) للتعميم والتهويل ، فإنهم عند الموت يرون ما سيصيرون إليه ، فقد جاء في الحديث الصحيح «إن الكافر يرى مقعده

---

(١) – سورة النمل آية : ٦٣

(٢) – روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للألوسي ١٥/ ٢٠٢

(٣) – التحرير والتنوير ١٠/٣٠

(٤) – المرجع السابق ١١١/٣٠

(٥) – التفسير الوسيط لفضيلة الدكتور محمد سيد طنطاوي ٢٤٩/١٥

فيقال له : هذا مقعدك حتى تبعث[1]» ، وفي الحديث: «القبر روضة من رياض الجنة ، أو حفرة من حفر النار[2]»

المعنى العام

الموضوع الأول : موقف الكفار من البعث.

تحدثنا السورة الكريمة عن بعض مواقف الذين كفروا من دعوة سيدنا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – حيث تقص لنا خبرهم كلما التقى بعضهم بعضا أنهم كانوا يتساءلون فيما بينهم على سبيل الإنكار ، والاستهزاء ، والسخرية ، يقول بعضهم لبعض : ما الذي جاء به محمد ؟ ويتجادلون جدالا شديدا في هذا الشأن، فمنهم من ينكره البتة، ويزعم أنهم إذا ماتوا انتهى أمرهم، وما هي إلا أرحام تدفع، وأرض تبلع، وما يهلكنا إلا الدهر ، ومنهم من كان يزعم أنهم إنما تبعث أرواحهم لا

---

(١) – أخرجه البخاري بنحوه في صحيحه عن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إذا مات أحدكم عرض عليه مقعده، غدوة وعشيا، إما النار وإما الجنة، فيقال: هذا مقعدك حتى تبعث إليه " برقم ٦٥١٥ ، طبعة دار الشعب – القاهرة ، الطبعة الأولى، ١٩٨٧ م وأخرجه أحمد في مسنده – مسند عبدالله بن عمر برقم ٥٩٢٦ ، طبعة دار الحديث – القاهرة الطبعة الأولى، ١٤١٦ هـ – ١٩٩٥ م ، وابن أبي شيبة في مصنفه في كتاب الزهد – ما ذكر عن نبينا صلى الله عليه وسلم في الزهد برقم ٣٤٣٧٠

(٢) – أخرجه الطبراني في المعجم الكبير حديث أبي هريرة عن سهل بن سعد برقم ٥٦٥٨، : مكتبة ابن تيمية – القاهرة الطبعة الأولى، ١٤١٥ هـ – ١٩٩٤ م) ، وأبو نعيم في حلية الأولياء – الفضيل بن عياض ٨٧/٨ ، دار الكتب العلمية– بيروت (طبعة ١٤٠٩هـ بدون تحقيق) وللحديث شواهد تقويه

أجسامهم بعد أن تأكلها الأرض، وتعبث بها يد البلى. ومنهم من هو في شك منه كما في قوله سبحانه : (وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُمْ مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ)[1].وقوله جل شأنه :(وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُجِعْتُ إِلَى رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنَى)[2]

هذا على القول بأن الضمير في قوله : (يَتَسَاءَلُونَ) لأهل مكة، وصح عود الضمير إليهم مع أنهم لم يسبق لهم ذكر، لأنهم معروفون من السياق، إذ هم- دون غيرهم- الذين كانوا يتساءلون فيما بينهم- على سبيل التهكم- عما جاء به النبي – صلى الله عليه وسلم. قال العلامة الآلوسي : الضمير لأهل مكة ، وإن لم يسبق ذكرهم للاستغناء عنه بحضورهم حسا مع ما في الترك على ما قيل من التحقير والإهانة لإشعاره بأن ذكرهم مما يصان عنه ساحة الذكر الحكيم ، ولا يتوهم العكس لمنع المقام عنه[3]

وقيل: إن الضمير للمسلمين والكافرين جميعا، وكانوا جميعا يسألون عنه، أما المسلم فليزداد خشية واستعدادا، ومن ذلك ما أخرجه البخاري ، عن أنس – رضي الله عنه – أن رجلا سأل النبي – صلى الله عليه وسلم – عن الساعة، فقال: متى الساعة؟ قال : وماذا أعددت لها ؟. قال: لا

(١) – سورة الجاثية ، آية : ٣٢

(٢) – سورة فصلت ، آية : ٥٠

(٣) = روح المعاني للآلوسي ٢٠٢/١٥ دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة الأولى، ١٤١٥ هـ

شيء، إلا أني أحب الله ورسوله – صلى الله عليه وسلم – فقال: «أنت مع من أحببت». قال أنس: فما فرحنا بشيء، فرحنا بقول النبي – صلى الله عليه وسلم – : أنت مع من أحببت[1] ».وأما الكافر فليزداد استهزاء. ، والغرض من الاستفهام في قوله : (عم) تفخيم شأن القصة ، وتعظيم أمر السؤال الوارد على النحو المذكور ، وفي ذلك إشارة إلى أنه كان ينبغي ألا يقع منهم ذلك ، لأن أمر البعث من الوضوح بمكان ، فلا يحتاج لشيء من ذلك ، لأن أمره بيد الله تعالى ، وقدرة الله لا حد لها ، ولا منتهى ، وخطأ هؤلاء المكذبين أنهم قاسوا قدرة الله على قدرة البشر ، فرأوا أن أمر البعث بمقياسهم ومقدورهم لا يمكن ، فلذلك أنكروه على الله ، لأنه من وجهة نظرهم : ما لا يستطيعه البشر ، لا يستطيعه الله ، ولو أنهم أنصفوا وتعقلوا لعلموا أن قدرة الله تعالى لا يحكمها ، أو يدرك حقيقتها عقل الإنسان ، ولا سيما أن العقل البشرى نسبي في حكمه ، فقد ينكر الآن شيئا ، ويصبح في الغد من البدهيات ، والأمثلة على ذلك من الواقع كثيرة ، فمثلا من كان يصدق قبل مائة عام مضت بوجود ما اكتشفه العلم الحديث من مكتشفات ومخترعات كالحاسب الآلي ، والطائرات ،ومركبات الفضاء وغير ذلك الكثير والكثير مما لا يحصيه عد عاد ، والواقع خير شاهد على ذلك ، فكيف الحال لو رجعنا إلى عهد رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فيما يتعلق بهذه المخترعات؟ لا شك أن الإنكار سيكون أشد ، والآن أصبحت هذه الأشياء من المسلمات ،

---

(١) – أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب المناقب باب مناقب عمر بن الخطاب رضي الله عنه برقم ٣٦٨٨ . ومسلم في صحيحه كتاب البر والصلة والآداب باب المرء مع من أحب برقم ١٦١ – (٢٦٣٩)

فإذا كان العقل البشري في حكمه على الأشياء متفاوتا بتفاوت الأوقات والأحوال فلم لا نقول : إن عقول هؤلاء يمكن أن تغير موقفها من قضية البعث كذلك ؟ وسيأتي قريبا بعض أدلة على هذه القضية .

نعود إلى الآيات ، فنقول : إنها تحكي هذا الموقف لهؤلاء المشركين ، منكرة عليهم هذا الأمر ، معظمة لهذا الموقف القبيح منهم ، ثم تبين الآيات ما الذي يتساءلون عنه ، فتقول : (عن النبإ العظيم) يعني : عن الخبر العظيم الشأن . وجيء بالجواب مع السؤال لأن الاستفهام هنا مستعمل في غير طلب الفهم ، وإنما قصد به التشويق إلى تلقي الخبر ، وليكون أقرب إلى التفهيم والإيضاح ، كما في قوله تعالى : (هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَى مَنْ تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ ، تَنَزَّلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ)[1] ، وقوله سبحانه : (لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ)[2] ، فكأنه قيل: هم يتساءلون عن النبأ العظيم . وفي المراد ب النبإ ثلاثة أقوال :

أحدها : القرآن . وهو قول مجاهد.

الثاني : البعث بعد الموت . وهو قول قتادة، وابن زيد[3].

الثالث : أنه أمر النبي – صلى الله وسلم . حكاه الزجاج[4].

(١) – سورة الشعراء ، آية / ٢٢١، ٢٢٢

(٢) – سورة غافر ، آية : ١٦

(٣) – تفسير القرآن العظيم لابن كثير بتصرف ٣٠٢/٨

(٤) – زاد المسير لابن الجوزي بتصرف ٣٨٨/٤

قلت : ولا تعارض بين هذه الأقوال ، لأنه لما بعث الرسول – صلى الله عليه وسلم – (وهو القول الثالث) جاء بالقرآن (وهو القول الأول) ومن أهم ما جاء في القرآن قضية البعث (وهو القول الثاني) إذن ، هذه الأقوال تتكامل ، ولا تتعارض .

قوله عز وجل : (الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ) ، من قال : إنه القرآن ، فإن المشركين اختلفوا فيه ، فقال بعضهم : هو سحر ، وقال بعضهم : هو شعر ، وقال بعضهم : أساطير الأولين ، إلى غير ذلك .وكذلك من قال : هو أمر النبي – صلى الله عليه وسلم – .قال : ساحر ، شاعر ، كذاب ، مجنون ، وهكذا ، وأما من قال : إنه البعث والقيامة ، ففي اختلافهم فيه قولان :

أحدهما : انهم اختلفوا فيه لما سمعوا به ، فمنهم من صدق وآمن ، ومنهم من كذب ، ومنهم من تشكك ، وهذا معنى قول قتادة .

الثاني : أن المسلمين والمشركين اختلفوا فيه ، فصدق به المسلمون ، وكذب به المشركون[1] .

قوله تعالى : (كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ، ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ) (كلا) قيل : إنها ردع وزجر لهم عن هذا التساؤل والاختلاف ، وقيل : هي نفي لاختلافهم ، أي: ليس الأمر كما وهم هؤلاء ، فسيعلمون عما قريب عاقبة تكذيبهم حين تقوم الساعة ، وتنجلي الأمور ، وتنكشف الحقائق ، فالآيتان فيهما رد على هؤلاء الذين يتساءلون عن هذا القرآن ، وما تضمنه ، ويختلفون فيه

(١) – زاد المسير لابن الجوزي بتصرف ٣٨٨/٤

، إنه أمر لا يدعو إلى تساؤل من عاقل ، ولا يثير خلافا بين عقلاء ، إنه أمر من الوضوح بمكان ، فالمشكلة ليست في البعث ، إنما في عقولهم ، تلك التي ينبغي أن تتهم ، أو أن القوم مكابرون معاندون ، فموقفهم شخصي لأنفسهم فلا عبرة به فيما يتعلق بالغير ، وفى تكرار الوعيد : توكيد له ، وتقرير لتلك الحقيقة الواضحة ، التي تؤكدها الأدلة القاطعة ، والبراهين اليقينية المسلمة . والله أعلم.

ما يستفاد من الآيات الكريمة

١ – تفخيم وتقرير عقيدة البعث ، والجزاء ، والنبوة ، والتوحيد ، وهي التي اختلف الناس فيها ما بين مثبت ، وناف وشاك ، ومصدق ومكذب.

٢ – سيتحقق هؤلاء المختلفون يقينا من صدق ما جاء به محمد – صلى الله عليه وسلم – من القرآن ، وما تضمنه من ذكر البعث ، عند نزع الروح ، ولكن لا فائدة من العلم ساعتها ، إذ قضي الأمر وانتهى الخلاف.

الموضوع الثاني : نماذج من مظاهر قدرته سبحانه.

قال الله تعالى :

(أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا ، وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ، وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا ، وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ، وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا ، وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ، وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ، وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ، وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا ، لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا ، وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا) الآيات من ٦ : ١٦

مناسبة الآيات لما قبلها

تأتي هذه الآيات بعد ذكر موقف الذين كفروا من البعث على سبيل ذكر أدلة قدرته سبحانه على بعث من في القبور.

المباحث العربية

- (مِهَادًا) المهاد : الفراش الممهد ، أي : اللين ، والمهد : الموضع المهيأ للصبي كالمهاد [١]، والمعنى : ذللنا لكم الأرض ، لتسكنوها وتنتفعوا بما فيها[٢]. ومهادا مفعول به ثان لأن الجعل في الآية بمعنى التصيير.

- (أَوْتَادًا) أي : كالأوتاد ، الوتد : مارز في الحائط أو الأرض من الخشب، والجمع: أوتاد [٣]. والوتد : خشبة تغرس في الأرض ويظهر منها

---

(١) - لسان العرب لابن منظور بتصرف ٣/ ٤١١، وتاج العروس للزبيدي ٩/ ١٩٠

(٢) - مقاييس اللغة لابن فارس مادة مهد ٥/ ٢٨٠ ، دار الفكر ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م. والمخصص لابن سيده ٣/٤٤٤ - دار إحياء التراث العربي - بيروت - الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ ١٩٩٦م

(٣) -المحكم والمحيط الأعظم لابن سيده ٩/ ٤١٤، دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م

جزء ، بحيث يكون الجزء الظاهر أقل ، والغرض منه : تثبيت الخيمة أو الدابة ، والغرض منه هنا تثبيت الأرض ، حتى لا تميد أي تضطرب بكم[١] . وجملة : والجبال أوتادا : عطف على الأرض مهادا. والمراد : أرسينا الأرض بالجبال كما يرسى البيت بالأوتاد.

-(أَزْوَاجًا) : قال ابن فارس : الزاي والواو والجيم أصل يدل على مقارنة شيء لشيء. من ذلك : الزوج : زوج المرأة. والمرأة : زوج بعلها، وهو الفصيح[٢]. والزوج: الصنف. والذكر صنف، والأنثى صنف[٣].، والمراد : ذكرا و أنثى . أو أشكالا متعددة ، وطباعا مختلفة ، وألسنة متنوعة ، وهكذا .

قال أبو حيان : أزواجا: أي أنواعا من اللون والصورة واللسان. وقال الزجاج وغيره: مزدوجين، ذكرا وأنثى[٤]. وأزواجا : حال ، أي متجانسين متشابهين ذكورا وإناثا.

- (سُبَاتًا) : السبت: الراحة. وسبت يسبت سبتا: استراح وسكن. والسبات: نوم خفي، كالغشية. سكونا ، وسبت الرجل : استراح ، وترك العمل ، وقيل : سباتا أي قاطعا للأعمال والتصرفات ، والسبت : القطع ، ومنه سبت الرجل رأسه : إذا قطع شعره[٥] ، والمراد جعلنا نومكم راحة لكم، وقاطعا لتعبكم ، وسائرا تصرفاتكم . وسباتا مفعول جعلنا الثاني.-

(١) - لسان العرب لابن منظور حرف الدال المهملة فصل الواو بتصرف ٤٤٤/٣

(٢) - مقاييس اللغة لابن فارس ٣٥/٣

(٣) - لسان العرب لابن منظور ، حرف الجيم - فصل الزاي ٢/ ٢٩٣

(٤) - البحر المحيط لأبي حيان ٣٨٤/١٠

(٥) - المرجع السابق حرف التاء فصل السين بتصرف ٢/ ٢

(لِبَاسًا) يقال : ألبست الأرض: غطاها النبت. وألبست الشيء، بالألف، إذا غطيته. يقال: ألبس السماء السحاب إذا غطاها[١].والمعنى :ألم نجعل الليل غطاء وغشاء يستر كل شيء بظلمته عن العيون ، فالليل كاللباس في الستر[٢].

-(مَعَاشًا):أي :وقتا للبحث عن أسباب العيش، وقضاء المصالح . والمعنى : وجعلنا لكم النهار لتبتغوا فيه من فضل الله ، وما قسم لكم من رزقه[٣] .

-(وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا) ، شِداداً : جمع شديدة، وهي الهيئة الموصوفة بالشدة والقوة. أي :خلقنا فوقكم سبع سموات كالقباب .والمعنى :خلقنا فوقكم أيها الناس سبع سموات محكمة ، لا يتطرق إليها شقوق ، ولا فطور على مر الزمان ، إلى أن يأتي أمر الله تعالى [٤].وسبعا : مفعول به أي سبع سموات وشدادا : صفة.

---

(١) لسان العرب لابن منظور ٦/ ٢٠٣

(٢) - لباب التأويل للخازن ٤/ ٣٨٧

(٣) - المحكم والمحيط الأعظم لابن سيده بتصرف ٢١٣/٣، ٢١٤. ومقاييس اللغة لابن فارس باب العين مادة عيش ١٩٤/٤.

(٤) - البحر المديد لابن عجيبة بتصرف ٧ / ٢١٧ . ط دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الثانية ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م،

-(سِرَاجًا وَهَّاجًا) : السراج : الشمس ، والوهاج :الحار ،شديد الاتقاد ، المتعالي اللهب، يعنى: وجعلنا الشمس مضيئة منيرة ، أي وجعلنا في الشمس حرارة ،ونورا ، والوهج يجمع النور والحرارة(١).

-(الْمُعْصِرَاتِ) : مأخوذ من العصر ، وفيه أقوال : فقيل المراد : السحاب إذا أعصرت، أي: شارفت أن يعصرها الرياح فتمطر، ومنه: أعصرت الجارية: إذا دنت أن تحيض، والرياح: إذا حان لها أن تعصر السحاب(٢). وقيل : الرياح التي تعصر السحاب ، أو هي الرياح ذات الأعاصير ، وذلك لأن الريح تستدر المطر من السحاب ، وقيل : السماء . وذلك لأن المطر ينزل من جهة السماء(٣) .

-(ثَجَّاجًا) : الثج : أصله شدة الانصباب. وقال الأزهري: مطر ثجاج: شديد الانصباب ، ويقال: ثج الدم، أي: أساله(٤) ، ومنه الحديث : أفضل الحج العج والثج(٥) ، والعج : رفع الصوت بالتلبية ، والثج : صب دماء

---

(١) – المحكم والمحيط الأعظم لابن سيده بتصرف ٧/ ٢٦٩ دار الكتب العلمية – بيروت. الطبعة الأولى، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠٠ م ، ولسان العرب لابن منظور حرف الجيم – فصل الياء ٢/ ٤٠١

(٢) – البحر المديد لابن عجيبة بتصرف ٧ / ٢١٧ ..

(٣) – تفسير القرآن العظيم لابن كثير بتصرف ٨/ ٣٠٣

(٤) – تهذيب اللغة للأزهري باب الجيم والراء ١٠/ ٢٥٤ . دار إحياء التراث العربي – بيروت الطبعة الأولى، ٢٠٠١م . ولسان العرب لابن منظور حرف الجيم فصل الثاء ٢٢١/٢. وتاج العروس للزبيدي فصل الثاء مادة ثج ٤٤٧/٥ دار الهداية بدون تاريخ.

(٥) – أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه ما رواه عبد الله بن مسعود، عن النبي صلى الله عليه وسلم برقم ٣٣٠ ، وفي كتاب الحج – من كان يرفع صوته بالتلبية برقم ==

الهدي. وقوله : من المعصرات : جار ومجرور متعلق ب أنزلنا ، وماء : مفعول به ، وثجاجا : صفة.

(حَبًّا وَنَبَاتًا) الحب : ما يقتات به الإنسان ، والحيوان ، والطيور ، وغيرها، ويصلح للقوت ، كالذرة ، والحنطة ، والنبات : العشب الذي يستعمل رعيا لإنسان أو بهيمة . وبدأ بالحب لأنه الذي يتقوت به، كالحنطة والشعير، وثنى بالنبات فشمل كل ما ينبت من شجر ، وحشيش ، ودخل فيه الحب(١).

-(وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا) أَلْفَافًا : جمع لَفٍّ، ثم جُمِع لَفٌّ على ألفاف. وقيل : جمع لفيف كأشراف وشريف. وقيل واحدها لِفٌّ، ككِن و أكنان , قال الجوهري : ومنه قولهم: كنّا لِفا، أي مجتمعين في موضع واحد. (٢) وأنشد أبو علي الطوسي:

جَنَّةٌ لِفٌّ وعَيْشٌ مُغْدِقُ ... ونَدامى كلُّهم بِيْضٌ زُهُرْ(٣)

==

١٥٠٥٦ ، وأبو يعلى في مسنده مسند عبد الله بن مسعود برقم ٥٠٨٦ ، وقال محققه : حسين سليم أسد : إسناده حسن.

(١) - البحر المحيط لأبي حيان ١٠ / ٣٨٥

(٢) - معجم ديوان الأدب للفارابي في كتاب المضعف باب فِعْل ٣/ ٣٢، طبعة: مؤسسة دار الشعب للصحافة والطباعة والنشر، القاهرة عام النشر: ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م والصحاح للجوهري ٤ / ١٤٢٨ دار العلم للملايين - بيروت الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧م، والمحكم والمحيط الأعظم لابن سيده حرف اللام (اللام والفاء) ٣٦٢/١٠

(٣) - الدر المصون للسمين الحلبي ١٠/ ٦٥٢

. والمعنى : وجنات ملتفة الأشجار كثيرة الأغصان.

من أسرار التعبير

- قوله : (أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا) ، الهمزة للتقرير ، والالتفات إلى الخطاب على القراءة المشهورة للمبالغة في الإلزام والتبكيت[١] ، ووصفت الأرض بكونها مهادا على سبيل المبالغة في جعلها مكان استقرار الناس وانتفاعهم وراحتهم، والكلام على سبيل التشبيه البليغ[٢]، أو على حذف مضاف[٣].

- التعبير ب(نَجْعَلِ) دون: نخلق، لأن كونها مهادا حالة من أحوالها عند خلقها أو بعده بخلاف الفعل :خلق ، فإنه يتعدى إلى الذات غالبا ، أو إلى الوصف المقوم للذات[٤] نحو:(الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ)[٥]

- قوله (وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا) ، عبر بالفعل الماضي وما بعده لأن مفاعيل فعل (خلقنا) وما عطف عليه ليست مشاهدة لهم[٦].

---

(١) - تفسير أبي السعود ٨٦/٩

(٢) - "التشبيه البليغ" وهو التشبيه الذي لم تذكر فيه أداة التشبيه، ولم يذكر فيه أيضا وجه الشبه. البلاغة العربية عبد الرحمن حَبَنَّكَة ١٧٣/٢-دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م

(٣) - التفسير الوسيط لفضيلة الدكتور محمد سيد طنطاوي ٢٥٠/١٥

(٤) - التحرير والتنوير لابن عاشور ٣٠/ ١٤

(٥) - سورة الملك ، آية : ٢

(٦) - التحرير والتنوير لابن عاشور ١١/٣٠

قولـه (وَجَعَلْنَـا اللَّيْـلَ لِبَاسًـا) ، وصـف- سـبحانه- الليـل بأنـه كاللبـاس، والنهـار بأنـه وقـت المعـاش، لأن الشـأن فيهمـا كـذلك، إذ الليـل هـو وقـت الراحة والسكون والاختلاء.. والنهار هو وقت السعي والحركة والانتشار.

- قوله : (وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا) ، وصف السراج بأنـه وهـاج، مبالغة فـي شـدة ضـيائه ولمعانـه، مـن الـوهج- يفـتح الـواو والهـاء- بمعنـى شـدة الضياء. .والكلام على التشبيه البليغ، والمقصود منه تقريب صفة المشبه إلى الأذهان، وإلا فالشمس أعظم من كل سراج[1].

المعنى العام

تأتي هذه الآيات الكريمة لتذكر نماذج تسعة من مظاهر قدرة الله سبحانه علـى بعث مـن فـي القبـور .وهـذه المظـاهر يرونهـا بـأعينهم ، لا يخفـى عليهم شيء منها ، وهي ما يأتي :

١- انبسـاط الأرض وتمهيـدها لتكـون صـالحة لحيـاة الإنسـان ، وسـائر الكائنات .

٢- الجبال الضاربة في أعماق الأرض شاهقة في الجو

٣- التنـوع العجيـب فـي الخلـق مـن : ذكـور وإنـاث ، وعـادات ، ولغـات ، وألوان .

٤- جعل النوم راحة للإنسان من عناء الأعمال التي يزاولها عامة نهاره .

٥- جعل الليل ساترا للخلق

(١) - التفسير الوسيط لفضيلة الدكتور محمد سيد طنطاوي ٢٥١/١٥

٦- جعل النهار وقتا للبحث عن أسباب الحياة والمعاش .

٧- ارتفاع السموات فوقنا مع إحكام الوضع ، ودقة .

٨- وجود الشمس المنيرة المتوهجة .

٩- نزول المطر ، وما ينشأ عنه من النبات .

وإليكم الحديث عن هذه الأدلة تفصيلا:

- الدليل الأول : قوله سبحانه : (أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا) لما ذكر الله تعالى في الآيات السابقة أن الكفار ينكرون البعث ، وأراد إقامة الأدلة على قدرته على ذلك قدم لذلك ببيان كونه تعالى على كل شيء قدير ، ومن كان كذلك كان على بعث من في القبور أقدر ، وتبدأ الآيات بذكر الدليل الأول المتمثل في قوله سبحانه : (أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا) ، أي يا من تنكرون البعث : من الذي جعل لكم الأرض مذللة هينة لكم ، ليسهل عليكم أسباب المعيشة فيها ؟ من الذى سخرها لكم ، بل وسخر لكم ما فيها ؟ من الذي أعطاكم القدرة على الاستفادة بكل ما فيها ؟ من الذي هداكم لتلك النعم التي تستخرجونها من بطنها غير الله؟ من الذي هداكم لاستخراج الحديد والذهب والبترول وغيرها ؟ إنه الله الذي أبدع هذه الخلائق العجيبة ، أفتنكرون ذلك ؟ فإذا كنتم لا تستطيعون إنكار ذلك ، فلم تنكرون قدرته على البعث ، وما هو إلا اختراع مثل هذه الاختراعات أو يقال لهم : لم فعل هذه الأشياء ؟ والحكيم لا يفعل شيئا عبثا ، وإنكار البعث يؤدي إلى أنه عابث في كل ما فعل ؟ والهمزة في قوله : (ألم) للتقرير . والالتفات إلى الخطاب على القراءة المشهورة للمبالغة في

الإلزام والتبكيت[١] . ومناسبة ابتداء الاستدلال على إمكان البعث بخلق الأرض أن البعث هو إخراج أهل الحشر من الأرض فكانت الأرض أسبق شيء إلى ذهن السامع عند الخوض في أمر البعث، أي بعث أهل القبور.

– الدليل الثاني : قوله (وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا) كأن الله يقول لهم : لم تنكرون قدرتي على البعث ؟ ألست الذي جعلت لكم الجبال بالنسبة للأرض التي تقومون عليها كالوتد بالنسبة للخيمة والدابة كي لا تميد الأرض وتضطرب من تحت أقدامكم ؟ ومناسبة ذكر الجبال هنا ، ما تقدم من ذكر الأرض في الآية السابقة ، وفى الآية الكريمة تشبيه جبال الأرض بأوتاد البيت ، فكما أن البيت لا يكون بدون عمد فكذلك الأرض لا تثبت بدون الجبال.

يقول الطاهر بن عاشور : ويجوز أن تكون الجبال مشبهة بأوتاد الخيمة في أنها تشد الخيمة من أن تقلعها الرياح ، أو تزلزلها ، بأن يكون في خلق الجبال للأرض حكمة لتعديل سبح الأرض في الكرة الهوائية ، إذ نتو الجبال على الكرة الأرضية يجعلها تكسر تيار الكرة الهوائية المحيطة بالأرض ، فيعتدل تياره حتى تكون حركة الأرض في كرة الهواء غير سريعة . على أن غالب سكان الأرض ، وخاصة العرب ، لهم منافع جمة في الجبال ، فمنها : مسايل الأودية ، وقرارات المياه في سفوحها ، ومراعي أنعامهم ، ومستعصمهم في الخوف ، ومراقب الطرق المؤدية إلى ديارهم إذا طرقها العدو [٢]. ولذلك كثر ذكر الجبال مع ذكر الأرض . أليس

---

(١) – البحر المديد لابن عجيبة بتصرف ٨/ ٣٣٠

(٢) – التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور ١٥/٣٠

الذي خلق هذا وأبدعه على هذا النحو البديع الخارق بقادر على أن يحيى الموتى ؟

من وجوه الإعجاز

أثبت العلم الحديث أن وجود الجبال على سطح الأرض موزع بحكمة ودقة بحيث يعمل على التوازن ؛ كي لا تميد الأرض وتضطرب ، فكأن عمل الجبال هو نفسه عمل الأوتاد التي تحفظ للخيمة استقرارها وتوازنها ، ودور الجبال في توازن القشرة الأرضية واضح ، خاصة تلك الجبال التي يسميها الجيولوجيون بالسلاسل الجبلية الالتوائية ، وهي منتشرة في كل القارات، ويقول العلماء في تفسيرهم لدور الجبال : إن الجبال لها امتدادات عظيمة الشأن تحت القشرة الأرضية ، وبواسطة بعض الأجهزة الحديثة وجدوا أن القشرة الأرضية ذات سمك يصل إلى ما بين (٣٠- ٦٠) كيلو مترا ، وثبت أن كل جبل له جذور يثبت القشرة الأرضية العلوية الصلبة في الطبقة اللزجة التي تحتها كالوتد ، وهذه الصورة نقلها القرآن ، قال تعالى : (وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا)[1] ، فالجبال تعمل كمساكات للقارات من الصخور السائلة التي توجد تحت القشرة الأرضية الصلبة ، ولولا جذور هذه الجبال لطفت القشرة إلى الخارج وانعدم توازن الأرض وثباتها.

أما في قوله تعالى : (وَأَلْقَى فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلاً لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ)[2] ، فإن العلماء يرون أن الجبال الالتوائية ألقيت فعلا من أعلى قمم الجبال القديمة بعد أن نحتتها عوامل التعرية ونقلتها ورسبتها

---

(١) – سورة النبإ آية : ٧

(٢) – سورة النحل ، آية : ١٥

في البحار التي نقلتها بدورها بواسطة الرياح لتستقر مرتفعة عن سطح البحر ، وقد التوت ونشأت منها السلاسل الالتوائية ، وأكد العلماء أن عوامل التعرية هي التي نحتت الجبال القديمة ، ونقلتها إلى أحواض البحار الداخلية القديمة ، حيث تراكمت الرواسب ملايين السنين، ثم انضغطت على شكل جبال التوائية حديثة التكوين ، قال تعالى: (وَأَلْقَى فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلاً لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ)[1]، وقال جل جلاله أيضا: (خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاء مَاء فَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيم)[2]؛ فانظر أيها القارئ إلى ما حوى القرآن من لفتات علمية يقف العقل البشري عندها[3].

وجاء في كتاب : الإعجاز العلمي في القرآن الكريم : كلما كان الارتفاع فوق مستوى سطح البحر كبيرا تضاعف طول الجزء الغائر في الأرض امتدادا إلى الداخل، وعلى ذلك فإن قمة مثل: إفرست لا يكاد ارتفاعها فوق مستوى سطح البحر يصل إلى تسعة كيلو مترات لها امتداد في داخل الغلاف الصخري للأرض يزيد عن المائة والثلاثين كيلو مترا، ويخترق هذا الامتداد الداخلي لتلك السلسلة الجبلية الغلاف الصخري للأرض بالكامل ليطفو في نطاق الضعف الأرضي، وهو نطاق شبه منصهر؛ أي مرن

(١) – سورة النحل ، آية : ١٥

(٢) – سورة لقمان ، آية : ١٠

(٣) – الاعجاز البلاغي في قصة يوسف عليه السلام لعلي الطاهر عبد السلام ص : ٣٥

عالي الكثافة واللزوجة تحكمه في ذلك قوانين الطفو تماما كما تحكم جبال الجليد الطافية في مياه المحيطات، فكلما برت عوامل التعرية قمم الجبال ارتفعت تلك الجبال إلى أعلى، وتظل عملية الارتفاع تلك حتى يخرج جذر الجبل من نطاق الضعف الأرضي بالكامل؛ وحينئذ يتوقف الجبل عن الحركة، ويتم بريه حتى يصل سمكه إلى سمك اللوح الأرضي الذي يحمله؛ وبذلك يظهر جذر الجبل على سطح الأرض، وبه من الثروات الأرضية ما لا يمكن أن يتكون إلا تحت ظروف استثنائية من الضغط والحرارة لا تتوفر إلا تحت ظروف مشابهة للبيئة في جذور الجبال.

فسبحان الذي وصف الجبال من قبل ألف وأربعمائة سنة بالأوتاد، وهي لفظة واحدة تصف كلا من الشكل الخارجي للجبل وامتداده الداخلي ووظيفته؛ لأن الوتد أغلبه يدفن في الأرض وأقله يظهر على السطح، ووظيفته التثبيت، وقد جاءت علوم الأرض في العقود المتأخرة من القرن العشرين بالأدلة المادية التي تثبت أنه هكذا الجبال بعد أن ظل وصف الجبال إلى مشارف التسعينات من القرن العشرين قاصرا على أنها مجرد نتوءات فوق سطح الأرض، وفي السبق القرآني بوصف الجبال بأنها أوتاد تأكيد قاطع على أن القرآن الكريم هو كلام الله الخالق، وأن النبي الخاتم والرسول الخاتم الذي تلقاه كان موصولا بالوحي، ومعلما من قِبل خالق السموات والأرض؛ حيث لم يكن لأحد من البشر أدنى إلمام بإمكانية وجود امتدادات داخلية للجبال، أو حتى مجرد التفكير في ذلك الأمر، ولا بدور الجبال في تثبيت الأرض إلا بعد نزول القران الكريم بأكثر من اثني عشر قرنا، ولا يمكن لعاقل أن يتصور مصدرا لهذا العلم غير الله الخالق –

سبحانه- الذي أنزله على نبي أمي في أمة كانت غالبيتها الساحقة من الأميين من قبل ألف وأربعمائة سنة .

أيضا هناك آية أخرى في القرآن الكريم تقول: (وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا * مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ)[1] ، الجبل في اللغة هو المرتفع من الأرض ارتفاعا ملحوظا يجعله يعظم ويطول على ما حوله من الأرض

أما قوله : (أَرْسَاهَا) ، فإن الفعل : رسا يرسو ، أي : ثبت وقر، ويستخدم الفعل أرسى مجازا بمعنى تهدئة الأمور، وجاءت لفظة رواسي بهذا المعنى في القرآن الكريم؛ مثل قوله تعالى: (وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ)[2] ، يعني جبال عالية مرتفعة[3]. فإذا تتبعنا أقوال المفسرين في تفسير قول الحق سبحانه: (وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا * مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ)[4] ، نجد أن الإمام ابن كثير – يرحمه الله- ذكر ما مختصره؛ أي قررها وأثبتها في أماكنها، وهو الحكيم العليم الرءوف بخلقه الرحيم، وثبت جبالها لتستقر بأهلها ويقر قرارها كل ذلك متاعا لخلقه، ولما يحتاجون إليه من الأنعام التي يأكلونها ويركبونها مدة احتياجهم إليها في هذه الدار إلى أن ينتهي الأمد وينقضي الأجل[5].

---

(١) – سورة النازعات ، الآيتان : ٣٢، ٣٣

(٢) – سورة المرسلات آية : ٢٧

(٣) – الإعجاز العلمي في القرآن الكريم ١/ ٢٤٦جامعة المدينة العالمية بدون بيانات.

(٤) – سورة النازعات ، الآيتان : ٣٢، ٣٣

(٥) – تفسير ابن كثير ٨/ ٣١٨. : دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون – بيروت

الطبعة الأولى ١٤١٩ هـ

وجاء في تفسير (الجلالين) ما نصه: أثبتها على وجه الأرض لتثبت، متاعا مفعول له لمقدر؛ أي فعل ذلك متعة أو مصدر؛ أي تمتيعا لكم ولأنعامكم جمع نعم وهي الإبل والبقر والغنم(١).

- الدليل الثالث : (وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا) : هذه الجملة عطف على الجملة السابقة ، ومعنى الجملة : وخلقناكم أزواجا أي : أصنافا متعددة ، وأضدادا مختلفة ، فمنهم الذكر ، ومنهم الأنثى ، ومنهم الأسود ، ومنهم الأبيض ، والحكمة من هذا التنوع : التوالد والتكاثر ، كي يتصل نسلكم فيها ، وتعمر بأجيالكم المتعاقبة عليها ..

وهذا التنوع ليس خاصا بكم أيها الناس ، بل هو أمر عام يشمل الخلق أجمع ، من حيوان ، ونبات ، وجماد ، بل إن هذه المخلوقات ، لا يقوم لها وجود إلا إذا كان لها ما يقابلها من جنسها ، مع وجود علاقة قوية بينهما ، يترتب عليها التزاوج ، والتناسل لاستمرار وجود هذا النوع ، وعلى أي حال ، فإن هذا التنوع يدل على كمال القدرة ، وبالغ الحكمة ، ودقة العلم ، يتضح ذلك من خلال تنظيم وإبداع الخلق فيما يتعلق هذا الأمر ، فلا تجد جيلا كله من الذكور ، أو آخر كله من الإناث ، أو بلدا كله من الذكور ، وأخرى من الإناث ، وذلك في الإنسان وغيره من الكائنات ، علم من هذا؟ وحكمة من ؟ وقدرة من ؟ وإبداع من ؟ إنه الله العليم الحكيم الخبير .

(١) - تفسير الجلالين ص : ٧٩١ دار الحديث - القاهرة الطبعة: الأولى

وقد جاء الاستدلال بخلق الناس ، عقب الاستدلال بخلق الأرض ، وجبالها : للجمع بين إثبات التفرد بالخلق ، وبين الدلالة على إمكان إعادتهم ، بخلق الناس على الإبداع العظيم ، والذى منه البعث : أقوى في نفوس المستدل عليهم.

- الدليل الرابع : (وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا)

هذه الآية تصرح بأن النوم آية من آيات الله سبحانه ، وهو ما ذكر في غير موضع ، قال تعالى :(وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ)[1] ، وهو كذلك أثر من آثار قدرته سبحانه ، ومظهر من مظاهر رحمته.

يقول الطاهر بن عاشور : وفي هذا امتنان على الناس بخلق نظام النوم فيهم ، لتحصل لهم راحة من تعب العمل الذي يكدحون له في نهارهم ، فالله تعالى جعل النوم حاصلا للإنسان بدون اختياره ، فالنوم يلجئ الإنسان إلى قطع العمل لتحصل راحة لمجموعه العصبي الذى ركنه في الدماغ ، فبتلك الراحة يتجدد للعصب قواه ، التي أوهنها عمل الحواس ، وحركات الأعضاء ، وأعمالها ، بحيث لو تعلقت رغبة أحد بالسهر ، لا بد له من أن يغلبه النوم ، وذلك لطف بالإنسان ، بحيث يحصل له ما به منفعة مداركه قسرا عليه ، لئلا يتهاون به ، ولذلك قيل : إن أقل الناس نوما أقصرهم عمرا ، وكذلك الحيوان[2] . أ هـ

(١) - سورة الروم آية : ٢٣

(٢) - التحرير والتنوير لابن عاشور ١٩/٣٠

إن الله سبحانه جعل النوم موتا لنا ، ونحن أحياء ، فألبسنا الحياة والموت معا ، نحيا ، ونموت ، ونموت ونحيا ، ذلك في كل يوم من أيام حياتنا .

إن النوم صورة مصغرة من الموت ، وانطلاقة للروح في حال النوم ، وسياحتها ، ورحلتها المنطلقة بعيدا عن الجسد ، هو أشبه بانطلاقها انطلاقا مطلقا بعد الموت ، وارتحالها الأبدي فيما وراء المادة ، وهذا يشير إليه قوله تعالى : (اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ)(١) ، وقوله سبحانه : (وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَى أَجَلٌ مُسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) (٢)

– الدليل الخامس : قوله تعالى : (وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا) .

أي : ومن أدلة قدرته – سبحانه – ومن بالغ حكمته ، أنه جعل الليل لباسا، أي ساترا ، يستر الوجود بظلامه ، كما يستر الثوب جسد أحدكم ، هل في آلهتكم من يفعل شيئا من ذلك ؟ هل في آلهتكم من يقدر على أن يجعل الليل يرخي على الأحياء سترا من الظلام بحيث يمسك الحواس المنطلقة طوال النهار ليمنحها قدرا من الراحة ، والهدوء ، والسكون ؟ ، أليس الذي يملك ذلك جديرا بأن يخطب وده ؟ وترجى رحمته ، ويخشي عذابه ؟ فماذا جرى لعقلك أيها الإنسان حتى تترك عبادة الله الذى هذه قدرته ، وتعبد من دونه حجرا لا يسمع ، ولا يبصر ، ولا ينفع ، ولا يضر ،

(١) – سورة الزمر ، آية :٤٢

(٢) – سورة الأنعام آية :٦٠

ولا يملك لك من دون الله شيئا ؟ إن تقسيم اليوم إلى ليل ونهار على هذا النحو له حكمة بالغة في إحداث توازن بين كل قوى الإنسان، بين جسده وروحه، بين مادياته ومعنوياته، بين حركته وسكونه، بين يقظته ونومه.

– الدليل السادس : قوله سبحانه وتعالى : (وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا) ، أي ومن أدلة قدرتي على البعث كذلك أني قد جعلت لكم في مقابل الليل نهارا تنتشرون فيه من نومكم ، وتبحثون فيه عن أسباب معيشتكم ، وتقضون فيه مصالحكم ، وقيل : إن المعاش كناية عن الحياة تسمية لها باسم سببها ، وهو العيش ، الذي لا حياة لحي بدونه ، ومن بديع الحكمة الإلهية كذلك من خلق النهار ، أن جعله مبصرا، ليرى الأحياء فيه مواقع معاشهم ، ووسائل كسبهم .

– الدليل السابع : قوله سبحانه (وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا)

أي : ومن دلائل قدرتنا على البعث ، أنا قد بنينا وأنشأنا بقدرتنا التي لا يعجزها شيء، فوقكم – أيها الناس – سبع سموات قويات محكمات ، لا يتطرق إليهن فطور ، أو شقوق على مر العصور ، فقوله (شِدَادًا) جمع شديدة ، وهى الهيئة الموصوفة بالشدة والقوة .

– الدليل الثامن : (وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا)

أي : ومن دلائل قدرتنا على البعث كذلك: أنا قد خلقنا لكم سراجا مضيئا، وقادا ، أي : جامعا للنور ، والحرارة ، وهو الشمس ، والوهاج : الوقاد المتلألئ ، من : وهجت النار إذا أضاءت ، أو البالغ في الحرارة ، من الوهج ، وهو الحر . والتعبير عنها بالسراج مناسب للتعبير عن السماء بالبناء، فالدنيا بيت ، وسراجه الشمس بالنهار، والقمر، والنجوم بالليل .

إن الشمس آية من آيات الله من حيث إنها مصدر لا غنى عنه لحياة الكائن الحي ، لذلك نجد أن البعد الهندسي في تحديد المسافة بينها وبين الأرض دقيق جدا ، حيث إنها لو اقتربت قليلا لاحترق الوجود ، ولو ابتعدت قليلا لتجمد الوجود ، كذلك الشمس في طلوعها وغروبها آية من آيات الله ، حيث تظهر في وقت محدد، وتغيب في وقت محدد ، نعم يزيد النهار أحيانا، فيتناقص الليل، والعكس لكن أيضا بحساب دقيق ، قال تعالى : (الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ)[1] ، وقال سبحانه : (وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ، وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ، لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ)[2]. وهذا نظام دقيق مشاهد لذي عينين ، إن دل ذلك على شيء ، إنما يدل على وجود قدرة من وراء هذا الكون ، قوية هي أقوى ما يكون ،عليمة هي أعلم ما يكون ، حكيمة هي أحكم ما يكون ، إن الأمر كما قال ربنا سبحانه وتعالي : (صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ)[3] ، وقال جل شأنه : (هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ)[4]

من وجوه الإعجاز

بالنظر في آيات الذكر الحكيم نجد أن الله سبحانه قد ذكر بديع صنعه وعظيم حكمته في خلق النجوم والكواكب حيث أقسم بها وبأحوالها في أكثر

(١)- سورة الرحمن ، آية : ٥

(٢) - سورة يس آية :٣٨ : ٤٠

(٣) - سورة النمل آية : ٨٨

(٤) - سورة لقمان آية : ١١

من موضع ، خذ مثلا قوله تعالى :(فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ) فقد أقسم المولى تبارك وتعالى بمواقع النجوم ، لأن القسم بمواقعها يوجه الانتباه إلى أن المسافات بين النجوم تبلغ حدودا لا يتصورها الخيال ، فمثلا نجد أن أقرب نجم إلينا في مجرتنا ، وهي الشمس تبعد عنا بمقدار ٥٠٠ ثانية ضوئية ، بينما النجم الذي يليها في القرب يبعد عنا بمقدار أربع سنوات ضوئية تقريبا، والسنة الضوئية تدل على مدى المسافة التي يقطعها الضوء في سنة كاملة ، علما بأن سرعة الضوء تساوى ٣٠٠ ألف كيلومتر في الثانية، ثم إن هناك مدلولا علميا آخر عن مواقع النجوم وهي أن موقع الشمس موقع بالغ الدقة في وضعه لكي تستقيم معه الحياة على كوكبنا الأرضي، لأنها لو تقدمت عن موضعها الحالي لاحترقت الأرض من شدة حرارتها ، ولو تأخرت عن موضعها لبردت الأرض وتجمدت فيها البحار والمحيطات وتصير غير صالحة لحياة البشر عليها .

ثم إن الشمس كرة هائلة ضخمة من الغازات الساخنة تزيد في حجمها بملايين المرات على كرتنا الأرضية، إن هذا القرص اللامع الذي يملأ الدنيا بالضياء ما هو إلا نجم عادي ضمن ملايين النجوم الأخرى التي يشاهدها المختصون الفلكيون ضمن مجرة درب التبانة فيكون في ذلك الحزام اللامع الذي يُرى من الأرض ويمتد خلال سماء الليل، ولكن جميع النجوم الأخرى بعيدة جدا عنا لدرجة أننا نراها كنقاط ضعيفة الإضاءة حتى بأكبر المناظير.

ويحتاج ضوء تلك النجوم إلى سنوات عديدة حتى يصل إلى الأرض أما ضوء الشمس فيصل إلينا بعد أن يغادر سطحها بثماني دقائق وعشرين ثانية فقط، وهكذا فإن الشمس أقرب إلينا بعدة ملايين المرات من النجوم

الأخرى، ومن هنا أيضا يأتي إحساسنا بإشعاع الشمس فتظهر كقرص كبير في السماء، وتفوق الشمس في أهميتها بالنسبة إلى الحياة على الأرض ما يزيد على (١٥٠) بليون نجم آخر في مجرة طريق التبانة وحدها، والمجرات الأخرى بعيدة جدا بحيث يقل تأثيرها عن نجوم مجرتنا(١).

- الدليل التاسع : قوله تعالى :(وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا)

أي من دلائل قدرتنا ، ومن بالغ حكمتنا : أنا أنزلنا من المعصرات ماء متدفقا بكثرة ، والمعصرات قيل : إنها السحب إذا أعصرت ،أي شارفت أن يعصرها الرياح فتمطر ، ومنه : أعصرت الجارية : إذا دنت أن تحيض ، وقيل : إنها الرياح : إذا حان لها أن تعصر السحاب ، وقد جاء : أن الله تعالى يبعث الرياح ، فتحمل الماء إلى السحاب فتعصره كما يعصر الماء من الجفافة ، وقيل : المعصرات السموات ، وذلك لأن المطر ينزل من السماء إلى السحاب ، ولا تعارض بين هذه الأقوال لأن كل قول منها له تعلق بالآخر ، فالمطر يقال له :غيث ، والمطر ينزل من السحب ، والسحب تحملها الرياح ، وهي جهة السماء ، قوله :(مَاءً ثَجَّاجًا) أي : منصبا بكثرة ، يقال : ثج الدم ، أي : أساله ، ومنه قوله - صلى الله عليه وسلم : " أفضل الحج العج والثج(٢) " أي رفع الصوت بالتلبية ،

---

(١) - القرآن وإعجازه العلمي لمحمد إسماعيل إبراهيم ص : ٦٢. دار الفكر العربي - دار الثقافة العربية للطباعة

(٢) - أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه - ما رواه عبد الله بن مسعود، عن النبي صلى الله عليه وسلم برقم ٣٣٠ ، وفي كتاب الحج - من كان يرفع صوته بالتلبية برقم ==

وصب دم الهدى . (لنخرج به) بذلك الماء (حبا) يقتات به ، كالحنطة والشعير ونحوهما (ونباتا) يعلف ، كالتبن والحشيش . قال الطيبي : النبات أريد به النابت . وتقديم الحب مع تأخيره في الإخراج لشرفه ؛ لأنه غالب قوت الإنسان . (وَجَنَّاتٍ) ؛ بساتين ، من : جنة إذا ستره ، فالجنة تطلق على ما فيه ثمر يستر وجهها من النخل ، والعنب ونحوها . و (أَلْفَافًا) صفة ، أي : ملتفة الأشجار ،

وبعد ، فالآيات حديث عن الإبداع في الخلق ، والحكمة في التدبير ، وهذا لا يكون إلا ووراءه يد تنسقه ، وحكمة تقدره ، وإرادة تدبره . يدرك هذا بقلبه وحسه كل إنسان حين توجه مشاعره هذا التوجيه ، فإذا ارتقى في العلم والمعرفة تكشفت له من هذا التناسق آفاق ودرجات تذهل العقول وتحير الألباب . وتجعل القول بأن هذا كله مجرد مصادفة : قولا تافها لا يستحق المناقشة ، كما تجعل التهرب من حقيقة القصد والتدبير في هذا الكون مجرد تعنت لا يستحق الاحترام ! إن لهذا الكون خالقا ، وإن وراء هذا الكون تدبيرا وتقديرا وتنسيقا .

هذا ، وتوالى هذه الحقائق والمشاهد في هذا النص القرآني على النحو: من جعل الأرض مهادا ، والجبال أوتادا ، وخلق الناس أزواجا ، وجعل نومهم سباتا بعد الحركة والوعي والنشاط مع جعل الليل لباسا للستر والانزواء ، وجعل النهار معاشا للوعي والنشاط . ثم بناء السبع الشداد . وجعل السراج الوهاج . وإنزال الماء الثجاج من المعصرات ، لإنبات الحب

==

١٥٠٥٦ ، وأبو يعلى في مسنده مسند عبد الله بن مسعود برقم ٥٠٨٦ ، وقال محققه : حسين سليم أسد : إسناده حسن.

والنبات والجنات ..... توالى هذه الحقائق والمشاهد علي هذا النحو يوحي بالتناسق الدقيق , ويشي بالتدبير والتقدير ، وموقظ يشعر بالخالق الحكيم القدير . ويلمس القلب لمسات موقظة موحية بما وراء هذه الحياة من قصد وغاية .

لكنك تلاحظ أن هذه الأدلة تختم بالحديث عن إحياء الأرض بالنبات بواسطة الماء , وفي هذا تشابه إلى حد بعيد ببعث الإنسان يوم القيامة .وهو ما جاءت السورة لإثباته ، وقد ورد في السنة ما يؤكد هذا ، ففي حديث طويل أخرجه مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص – رضي الله عنهما – أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال : ... ثم يرسل الله أو قال : ينزل الله مطرا كأنه الطل أو الظل[1] ، فتنبت منه أجساد الناس ، ثم ينفخ فيه أخرى ، فإذا هم قيام ينظرون [2].وجاء في حديث عبدالله بن مسعود – رضي الله عنه – قال : فيرسل الله ماء من تحت العرش كمني الرجال ، فتنبت لحمانهم وجثمانهم من ذلك الماء ، كما ينبت الأرض من الثرى ، ثم قرأ عبد الله :(وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ). قال : ثم يقوم ملك بالصور بين السماء والأرض ، فينفخ فيه ، فتنطلق

(١) – قال العلماء الأصح الطل وهو الموافق للحديث الآخر "أنه كمني الرجال" إذ الطل من معانيه اللبن نفس المرجع السابق

(٢) – أخرجه مسلم في كتاب الآداب – باب ذكر الدجال برقم ٧٤٩١– [١١٦– ٢٩٤٠] وأخرجه الإمام أحمد في مسنده – مسند عبدالله بن مسعود برقم ٦٥٥٥

كل نفس إلى جسدها حتى يدخل فيه ، ثم يقومون فيحيون حياة رجل واحد قياما لرب العالمين[١]

تأمل معي قول رسول الله – صلى الله عليه وسلم – :(ثم يرسل الله ، أو قال : ينزل الله مطرا كأنه الطل أو الظل ، فتنبت منه أجساد الناس) ، فسترى أن البعث يوم القيامة سيكون بأن يرسل الله مطرا إلى الأرض لتصل إلى أجساد الموتى فيحييهم الله تعالى ، وفى هذا تشابه عجيب بين البعث وبين إحياء الأرض بالنبات ، فالنبات بذرة يابسة توضع في بطن الأرض ، والإنسان بعد الممات يوضع في باطن الأرض ، وإن بلي الجسد ، إلا أن هناك جزءا من الإنسان لا يبلى ، يقال له : عجب الذنب[٢] لا يبلى ، فما المانع أن يصل الماء المذكور في الحديث إلى عجب الذنب هذا فتحيا ، كما يصل الماء إلى بذرة النبات في دنيا الناس فتنبت ، مع النداء في الصور يا أيتها العظام الناخرة ، يا أيتها الأجساد البالية : قومي لربك للحساب ، فتنبت الأرض بالأموات ، ثم إن البعث على كل حال ليس خلقا جديدا ، وإنما هو إعادة قال تعالى : (كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ)[٣] ،

---

(١) – أخرجه الحاكم في مستدركه على الصحيحين في كتاب الفتن والملاحم . وقال الحاكم : " هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه " حديث رقم : ٨٥٨٤. وأخرجه البيهقي في كتاب البعث والنشور باب ما جاء في المؤمن يفدى بالكافر، حديث رقم : ٦٠٩ . وابن أبي شيبة في مصنفه في كتاب القتن ما ذكر في فتنة الدجال حديث رقم : ٣٧٦٣٧

(٢) – عن أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : كل ابن آدم يأكله التراب إلا عجب الذنب منه خلق وفيه يركب أخرجه أبو داوود وسيأتي.

(٣) – سورة الأعراف آية : ٢٩

وقال جل شأنه :(مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى)[1] وقال أيضا : (كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ)[2] ، وفى سورة الروم يقول سبحانه : (وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ)[3]، والمشاهد أن الإعادة بالنسبة للبشر أسهل من البداية ، ألست ترى معي أن الإنسان كلما كرر الشيء أتقنه ؟ فالنجار , والحداد ، والمرأة في صنع الطعام ، هؤلاء وغيرهم كلما تقدم بهم العمر ، وهو يمارس عمله، يصبح فيه أكثر إتقانا ، بل ويطور فيه ، وقس على هذا سائر ما يقوم به الإنسان من أعمال ، فإذا كان الإنسان كلما كرر الشيء أتقنه ، وطور فيه مع أن ذلك يكون لمدة محدودة ، إذا كان الأمر كذلك فإنا نقول – مع وجوب مراعاة الفارق في التشبيه : كيف بالخلاق العليم ؟ الذى لا حد لقدرته ، سبحانه وتعالى يحدثنا عن قدرته فيقول : (إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ)[4] ، سبحانه في كل جزء من أجزاء اللحظة يخلق ما لا يحصى من الكائنات ، من الإنس والجن ، والطير ، والحيوان ، والنبات ، والحشرات ، من عالم البر ، والبحر من المخلوقات التي نعلم والتي لا نعلم ، لا يشغله كائن يتخلق الآن عن مخلوق هو كائن بالفعل ، فإذا أضفنا إلى ذلك أن الذي سيكون يوم القيامة ليس خلقا

(١) – سورة طه ، آية : ٥٥

(٢) – سورة الأنبياء آية : ١٠٤

(٣) – سورة الروم آية : ٢٧

(٤) – سورة النحل ، آية : ٤٠

جديدا ، إنما هو إعادة ، تبين لنا أن الأمر بالنسبة لنا من أيسر ما يكون ، أما بالنسبة له سبحانه فالأمور كلها عنده سواء جل شأن الله .

هذا ، وقد جاءت نصوص من السنة لترشد الإنسان إلى بعض أسرار خلقه وتعينه على النظر والتفكير ، ومن ذلك أحاديث عجب الذنب التي أخبر فيها النبي الكريم – صلى الله عليه و آله وسلم – عن حقائق علمية بالغة الأهمية ، وهي أن الإنسان يركب خلقه من عجب الذنب ، وذلك عند تكون الجنين ، وأن هذا العظم لا يبلى ، بل يركب الإنسان ويعاد خلقه منه يوم القيامة ، فمن ذلك ما جاء عن أبى هريرة – رضي الله عنه – أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال : كل ابن آدم يأكله التراب إلا عجب الذنب منه خلق وفيه يركب[1]

ومن ذلك أيضا ما جاء عن أبى هريرة – رضي الله عنه – أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال : إن في الإنسان عظما لا تأكله الأرض

(١) – أخرجه أبو داوود في سننه في كتاب السنة باب ذكر البعث والصور برقم ٤٧٤٣ ، وقال محققه شعَيب الأرنؤوط : إسناده صحيح. دار الرسالة العالمية الطبعة الأولى، ١٤٣٠ هـ – ٢٠٠٩ م . وأبو يعلى في مسنده في حديث الأعرج، عن أبي هريرة رقم ٦٢٩١ وقال محققه حكيم أسد : إسناده حسن. وأخرجه البخاري بنحوه جزءا من حديث في كتاب التفسير باب: (يوم ينفخ في الصور فتأتون أفواجا) برقم ٤٩٣٥

أبدا ، فيه يركب يوم القيامة ، قالوا : أي عظم هو يا رسول الله ؟ ، قال : عجب الذنب[1]

والعجب بالسكون : وهو العظم الذي في أسفل الصلب عند العجز .

يقول النووي :"قوله : (عجب الذنب) هو بفتح العين وإسكان الجيم ، أي : العظم اللطيف الذي في أسفل الصلب ، هو رأس العصعص ، ويقال له : (عجم) بالميم ، وهو أول ما يخلق من الآدمي ، وهو الذي يبقى منه ليعاد تركيب الخلق عليه "

ومن خلال الأحاديث السابقة نجد أنها أشارت إلى ثلاثة أمور :

١ – أن الإنسان يبدأ خلقه في مرحلة التكوين من عجب الذنب .

٢ – أن عجب الذنب لا يبلى ، ولا تأكله الأرض .

٣ – ومن عجب الذنب يعاد خلق الإنسان يوم القيامة ..

* لقد اكتشف العلماء أن الذي يقوم بالتخليق والتنظيم لجمع خلايا الجنين هو الشريط الأولي ، وهو الذي يتكون منه إثر ظهوره الجنين بكافة طبقاته ، وخاصة الجهاز العصبي ، ثم يندثر هذا الشريط ، ولا يبقى منه إلا أثر فيما يسمى عظم العصعصي (عجب الذنب).

وأول من اكتشف ذلك من العلماء هو العالم (هانسن سبيمان) حيث قام بدراسات وتجارب على الشريط الأولي والعقدة الأولية ، واكتشف أن الخيط

(١) – أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الآداب – باب ما بين النفختين. برقم ٧٥٢٦[١٤٣] طبعة دار الجيل – بيروت سنة ١٣٣٤ هـ وأحمد في مسنده مسند أبي هريرة رضي الله عنه برقم ٨١٦٥

الأولي ، والعقدة الأولية ، هما اللذان ينظمان خلق الجنين ، وأطلق عليهما اسم : المنظم الأولي ، أو المخلق الأولي ، وقام بقطع الشريط الأولي ، وزرعه في جنين آخر في المراحل الجنينية المبكرة في الأسبوع الثالث والرابع ، فأدى ذلك إلى نمو جنين ثانوي من هذه القطعة المزروعة بالتأثير على البيئة التي حولها والمكونة من خلايا الجنين المضيف ، بحيث يؤثر عليها ، وينظمها ويتخلق منها جنينا ثانويا مغروسا في جسد الجنين المضيف .

ثم قام هذا العالم الألماني (سبيمان) عام ١٩٣١ م بسحق المنظم الأولي، وزرعه مرة أخرى ، فلم يؤثر السحق ، حيث نما مرة أخرى ، وكون محورا جنينا ثانويا رغم سحقه ، ولم تتأثر خلاياه .

وفى عام ١٩٣٣م قام هذا العالم وعلماء آخرون بغلي المنظم الأولي وزراعته بعد غليه فشاهدوا أنه يؤدي إلى نمو محور جنين ثانوي بعد غليه ، ولم تتأثر خلاياه بالغليان ، ولقد نال العالم الأماني (سبيمان) جائزة نوبل عام ١٩٣٥ م على اكتشافه للمنظم الأولي .

وأجريت تجارب أخرى في نفس المجال توصلت إلى نفس النتيجة ، ومن ذلك ما أثبته مجموعة من علماء الصين في عدد من التجارب المختبرية استحالة إفناء عجب الذنب كيميائيا بالإذابة في أقوى الأحماض ، أو فيزيائيا بالحرق ، أو بالسحق ، أو بالتعريض للأشعة المختلفة ، ولقد قام الدكتور عثمان جيلان بالتعاون مع الشيخ عبد المجيد الزنداني في رمضان ١٤٢٤ هـ في منزل الشيخ عبد المجيد الزنداني في صنعاء بتجربة على العصعص ، حيث قاموا وتحت تصوير تلفزيوني بأخذ أحد فقرتين لخمس عصاعص للأغنام وقاموا بإحراقها بمسدس غاز فوق

أحجار ، ولمدة عشر دقائق حتى احمرت ، وتأكدوا من إحراقها التام بحيث أصبحت حمراء ، وبعد ذلك أصحبت سوداء متفحمة ، فوضعوا القطع في علب معقمة ، وأعطوها لأحد أشهر المختبرات في صنعاء (مختبر العولقي).

وقام الدكتور صالح العولقي أستاذ علم الأنسجة والأمراض في جامعة صنعاء بفحصها نسيجيا ، وكانت النتيجة مبهرة حيث وجد خلايا عظمة العصعص لم تتأثر ، ولا زالت حية ، وكأنها لم تحرق ، أما الذي احترق فهو العضلات والأنسجة الدهنية ، وخلايا نخاع العظم المصنعة للدم ، أما خلايا عظمة العصعص فلم تتأثر .

فكل هذه التجارب تؤكد أن عجب الذنب لا يبلى ، بل يظل محتفظا بخصائصه وقدرته على التخليق حتى في أصعب الظروف .

المسألة الثالثة التي أخبرت بها الأحاديث : هي أن الإنسان يركب خلقه يوم القيامة من عجب الذنب ، ومما يصلح أن يستدل به على هذه المسألة ، هو أن عجب الذنب بعد أن يتراجع ويستقر في العصعص ، فإنه إذا حدث له مؤثر ونما مرة أخرى ، فإنه ينمو نموا يشبه نمو الجنين ، وينمو على صورة ورم مسخي ، يشبه الجنين المشوه بحيث تبرز بعض الأعضاء كالقدم واليد – بأصابع وأظافر _ والأعضاء الباقية تكون داخل الورمة ، وعند فتح الورم بعد استئصاله ، فإن الجراح يجد باقي أعضاء الإنسان من الأمعاء ، والعظام ، والشعر ، والغدد ، ووجود هذه الخلايا في منطقة العصعص ، لكي تحفظ البداية البشرية ، ويمكن الاستدلال بهذا على أن الإنسان يركب من عجب الذنب يوم القيامة ، فمنطقة عجب

الذنب تحتوي على خلايا الشريط الأولي ، وهي ذات مقدرة شاملة كلية ، بحيث لو نمت خلية فإنها تنمو نموا بحيث تكون جنينا.

وجه الإعجاز :

من خلال اكتشافات العلم الحديث ، رأينا أن الإنسان يبدأ خلقه وتركيبه في اليوم الخامس عشر من عجب الذنب ، ويعمل عجب الذنب على تكوين أجزاء جسم الإنسان ، ثم يرجع فيستقر في نهاية العمود الفقري في العصعص ، وأظهرت التجارب أن عجب الذنب يبقى محافظا على خواصه حتى لو تعرض للحرق ، أو الطحن ، أو الغلي ، وتمكن العلماء من ملاحظة قدرة عجب الذنب علي إعادة عملية التخليق إذا تعرض لبعض المؤثرات مشكلا ما يشبه الجنين .

وكل هذه الحقائق احتوتها الأحاديث النبوية الشريفة ، ولم تتوصل العلوم التجريبية إلى معرفتها إلا بعد مئات السنين ، وبعد أن تمكنوا من حيازة التقنيات حتى تكمنوا من الحصول على هذه الحقائق العلمية ، التي أخبرنا عنها النبي – صلى الله عليه وسلم – بلفظ هو موجز يحوي في طياته جوامع الكلم ، فلا يمكن لعاقل أن يتصور مصدرا لهذه الحقائق العلمية من قبل أكثر من ألف وأربعمائة سنة غير وحي صادق من الله الخالق الذي خلق فأبدع ، وألهم خاتم أنبيائه النطق بهذه الحقائق ، ليبقى فيها من الشهادات على صدق نبوته ورسالته ما يكون ملائما لكل إنسان في كل عصر وزمان[1] .

---

(١) – مقال لدكتور زغلول النجار بمجلة الخليج العربي عدد ٢٥/ ٢ / ٢٠٢١. بتصرف.

وهنا نتساءل فنقول : أليس من الممكن أن تكون الخلية الكائنة في عجب الذنب بالنسبة لإعادة الإنسان يوم القيامة ، كالخلية الكائنة في البذرة بالنسبة للنبات ، ولذلك نلاحظ أن القرآن يقرن بين إعادة الإنسان يوم القيامة ، وبين إحياء الأرض بالنبات قال تعالى: (يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ)(١) ، (وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِ الْمَوْتَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)(٢) ، وبعد فهذه بعض نماذج من أدلة قدرة الله سبحانه المطلقة ، أفلا يرى هؤلاء المشركون المكذبون بالبعث ، المختلفون فيما يحدثهم به النبي – صلى الله عليه وسلم – عنه ، أفلان يرون أن بعثهم لا يعجز هذه القدرة التي أبدعت هذه الآيات ، وأحكمت صنعها ؟ وألا يحدث ذلك لهم علما يرفع هذا الاختلاف الذي هم فيهم ؟ ثم ، أليس في ذكر هذه الأدلة الدالة على قدرته سبحانه ما يلفت نظر هؤلاء إلى ضعف آلهتهم ، وعجزها ، وأنها لا تستحق أن تعبد ؟ أليس في هذه الأدلة ما يحرك عقولهم للتفكير والنظر لخطب ود الإله الواحد ، الأحد ، المتفرد بالخلق ، والإيجاد ، والإماتة ؟ وما ذلك إلا بترك عبادة الأوثان ، ثم بعبادة الله وحده ، لكن يا سبحان الله أكثر هؤلاء القوم ركبوا رؤوسهم ، وأصروا على باطلهم رغم وضوح الحق ، فصار حالهم كحال أسلافهم الذين ألفوا عبادة الأصنام مطالبين أنفسهم وغيرهم بالثبات على ذلك ، قال تعالى : (وَانْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا

(١) – سورة الروم ، آية : ١٩

(٢) – سورة فصلت ، آية : ٣٩

وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ)[1] وإن كان هذا من القوم جد عجيب ، فالأعجب منه ما كان منهم من حروب عديدة أطاحت بكثير من الرؤوس ، وخربت كثيرا من البيوت ، ويتمت كثيرا من الأطفال ، ورملت كثيرا من النساء ، وكل هذا من أجل باطل يدرك من له أدنى مسكة من عقل زيفه وتهافته ، لكن (فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ)[2]

ما يستفاد من الآيات الكريمة

١ – طلاقة القدرة الإلهية.

٢ – التنوع في الخلق دلالة على بالغ الحكمة الإلهية.

٣ – من دلائل قدرته – سبحانه – النوم بعد اليقظة.

٤ – تتجلى عظمة الخالق في خلق الشمس من حيث قربها ، أو بعدها عن الأرض ، ومن حيث ضرورتها للحياة.

٥ – من آثار قدرته – سبحانه – المطر ، من حيث : تكوينه ، وتسخيره بين السماء والأرض ، وكيفية نزوله.

٦ – التشابه الكبير بين إحياء الأرض بالنبات والبعث .

(١) – سورة ص ، آية : ٦

(٢) ٠ سورة الحج آية : ٤٦

الموضوع الثالث : الحديث عن يوم الفصل وأهواله

قال الله تعالى :(إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا ، يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ، وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا ، وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا). الآيات من ١٧: ٢٠

ـ مناسبة الآيات لما قبلها

بعد أن تحدثت الآيات السابقة عن النبأ العظيم الذي هم فيه مختلفون ، وزجرهم عن هذا التساؤل وذلكم الاختلاف ، أتبع هذا بالحديث عن أدلة قدرته سبحانه على البعث ، شرع هنا في الحديث عن يوم الحساب والجزاء ، وذلك يوم الفصل ، يقول تعالى : (إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا ، يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ، وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا ، وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا)[١]

ويمكن أن يقال في المناسبة : إن هذه الآيات بيان للإجمال الوارد في قوله : (عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ ، الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ) وهو المقصود من سياق الآيات التي افتتحت بها السورة ، ويؤكد لذلك ذكر الإخراج في قوله : (لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا) إلخ ، لأن إخراج الحب والنبات فيه شبه بإخراج أجساد الناس للبعث كما قال الله تعالى : (وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ ، وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ ، رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ)[٢]

(١) – سورة النبإ الآيات من ١٧ :٢٠

(٢) – سورة ق الآيات من ٩ : ١١

المباحث العربية

- (مِيقَاتًا) الوقت: مقدار من الزمان، والجمع: أوقات، وهو الميقات. ووقت موقوت وموقت: محدود. وفي التنزيل العزيز: (إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا)[1] ؛ أي مؤقتا مقدرا[2]والمعنى : إن يوم القيامة كان ميقاتا ، أي : وقتا محددا ، ومنتهى معلوما لوقوع الجزاء ، لا يتقدم ولا يتأخر ، أو ميقاتا يعنى : ميعادا للأولين والآخرين. وقوله : (إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كانَ مِيقاتاً) : كلام مستأنف مسوق للرد على سؤال قد ينشأ عن الكلام السابق عن البعث بالأدلة المتقدمة ، وهو: ما وقت البعث ؟ فقال: إن يوم إلخ، وميقاتا : خبر كان.

-(أَفْوَاجًا): الفوج: القطيع من الناس، وفي الصحاح: الجماعة من الناس. وقيل : الفوج : الجماعة المتميزة عن غيرها بشيء[3] ، والمعنى : تأتون جماعات متفرقة الأحوال ، متباينة الأوضاع ، حسب اختلاف أعمالكم وتباينها ، من راكب ، وطائر ، وماش ، وخفيف ، وثقيل . وأفواجا : حال من الواو في فتأتون.

-(أَبْوَابًا) : يعني : دمرت فكانت ذوات أبواب لنزول الملائكة ، وقيل : تنحل وتتناثر حتى يصير فيها أبواب وطرق. وأبوابا : خبر كان.

---

(١) - سورة النساء ، آية : ١٠٣

(٢) - لسان العرب لابن منظور - حرف التاء - فصل الواو ٢/ ١٠٧ ، ومختار الصحاح ص ٣٤٣ ، القاموس المحيط للفيروزآبادي ١٦٢

(٣) - مختار الصحاح لزين الدين الحنفي ص ٢٤٤ : المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت - صيدا الطبعة الخامسة، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م .والمصباح المنير للفيومي الحموي ٢/ ٤٨٢ المكتبة العلمية - بيروت بدون تاريخ.

-(وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ) : أي حركت ، وتناثرت أجزاؤها ، حتى صارت كالغبار المتطاير .

-(سَرَابًا) : السراب : ظاهرة طبيعية ترى كمسطحات ماء تلتصق بالأرض عن بعد، تنشأ عن انكسار الضوء في طبقات الجو عند اشتداد الحر، وتكثر بخاصة في الصحراء، ويظهر على بعد أنه ماء[1] ، وليس ذلك المراد هنا ، وإنما ذلك كناية عن تلاشيها وفنائها . وسرابا : خير كان.

القراءات

- قرأ حمزة، والكسائي، وعاصم : (وَفُتِحَتِ) بالتخفيف، والباقون بالتشديد، وهو لتكثير الفعل، والتخفيف بفتح مرة واحدة[2].

من أسرار التعبير

- **عبر بالماضي في قوله (كَانَ مِيقَاتًا) لتحقق وقوع يوم الفصل[3].**
- **قوله تعالى : (يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ) يَوْمَ بدل من(يَوْمَ الْفَصْلِ) ، أو عطف بيان مفيد لزيادة تفخيمه وتهويله[4].**
- **الفاء في قوله تعالى : (فَتَأْتُونَ) فاء الفصيحة ، أي تفصح عن جملة قد حذفت ، ثقة بدلالة الحال عليها ، وإيذانا بغاية سرعة**

---

(١) – معجم اللغة العربية المعاصرة لأحمد مختار طبعة عالم الكتب الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م

(٢) – النشر في القراءات العشر لابن الجزري ٣٦٤/٢

(٣) – روح المعاني للآلوسي ٢١١/١٥ ، والبحر المديد لابن عجيبة ٢١٩/٧

(٤) – المرجع السابق ونفس الصفحة.

الإتيان كما في قوله تعالى : (فقلنا اضْرِبْ بِعَصاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ)[1] ، أي فتحيون فتبعثون من قبوركم فتأتون إلى الموقف عقيب ذلك من غير فاصل[2].

- **قيل : إن قوله تعالى : (وَفُتِحَتِ السَّماءُ...) معطوف على قوله : (يُنْفَخُ) ، والتعبير بصيغة الماضي للدلالة على تحقق الوقوع.**
- **قوله تعالى : (وَفُتِحَتِ السَّماءُ...) حيث عبر بالفتح إشارة إلى كمال قدرته تعالى حتى كان شق هذا السماء كفتح الباب سهولة وسرعة.**

– قوله تعالى : (فَكَانَتْ أَبْوَابًا) تشبيه بليغ أي كالأبواب في التشقق والتصدع ، حيث حذفت الأداة ووجه الشبه[3].

– قوله : (وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا) ، وهو تشبيه بليغ حذفت منه الأداة وحذف وجه الشبه أيضا ، وهو أن المرئي خلاف الواقع فكما يرى السراب من بعيد للظامئ الملتاع كأنه ماء فيستبشر به ويخف إليه حتى إذا أدركه بعد طول الأين لم يجده شيئا، وكذلك ترى الجبال كأنها جبال ، وليست كذلك في نفس الأمر. اهـ.

---

(١) – سورة الشعراء ، آية : ٦٣

(٢) – تفسير إرشاد العقل السليم لأبي السعود ٩/ ٨٩

(٣) – روح المعاني للآلوسي ٢١٢/١٥

المعنى العام

قول الله تعالى : (إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا) الآية الكريمة بداية للحديث عن يوم الفصل الذي ينقلب فيه النظام الكوني بأسره ، فلا شيء باق على حاله ، حيث عم الدمار الرهيب ، الذي طال كل شيء ، وقد بدأ الحديث عنه بحرف التوكيد (إن) لأن فيه ردا لإنكار المشركين وتكذيبهم بهذا اليوم العظيم .ولقد عبر القرآن عنه بيوم الفصل – كما يقول الشيخ الطاهر بن عاشور – لإثبات شيئين :

أحدهما : أنه سبحانه قد بين ثبوت ما قد أنكروه من البعث والجزاء ، وذلك فصل بين الصدق وكذبهم .

ثانيهما : القضاء بين الناس فيما اختلفوا فيه ، وما اعتدى به بعضهم على بعض ، والتعبير ب (كان) في الآية الكريمة لإفادة أن توقيته متأصل في علم الله لما اقتضته حكمته تعالى ، التي هو أعلم بها ، وأن استعجالهم به لا يقدمه على ميقاته[1] .والمعنى : (إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ) بين الخلائق ، ليتميز المتقون من الفجار ، والمؤمنون من الكفار ، وكذا يتميز المحسن من المسيء ، والمحق من المبطل ، (كان) ولا يزال في علم الله تعالى ، (ميقاتا) ؛ وقتا محدودا ، ومنتهى معلوما لوقوع الجزاء ، لا يمكن أن يتخطاه بالتقدم أو التأخر ، وهو (يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا) النفخة الواردة في الآية الكريمة هي النفخة الثانية ، حيث إن "يوم " بدل من " يوم الفصل " ، أو عطف بيان له ، زيادة في تفخيمه وتهويله في تأخير الفصل ، ولا ضير في تأخر الفصل عن النفخ ، فإنه

(١) – التحرير والتنوير لابن عاشور ٣٠/ ٢٩

زمان ممتد يقع في مبدئه النفخة وفي بقيته الفصل ، والنفخ : نفخ الريح في الشيء ، ومنه نفخ الروح في النشأة الأولى ، كما قال تعالى :(وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي)[1] ، والصور : القرن الذي ينفخ فيه إسرافيل .عن أبي هريرة – رضي الله عنه – إن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال " لما خلق الله السموات والأرض حتى يؤمر بالنفخ فيه ، فيؤمر به ، فينفخ نفخة ولا يبقى عندها في الحياة غير ما شاء الله ، وذلك قوله تعالي : (وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ .....) ، ثم يؤمر بأخرى ، فينفخ نفخة لا يبقى معها ميت إلا بعث وقام ، وذلك قوله تعالى : (ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ)[2] ونحن لا ندري عن الصور شيئا إلا اسمه ، ولا نعلم غير أنه سينفخ فيه ، وليس لنا أن نشغل أنفسنا بكيفية ذلك ، فهي لا تزيدنا إيمانا ولا تأثرا بالحادث ، وقد صان الله طاقتنا عن أن تتبدد في البحث وراء هذا الغيب المكنون ، وأعطانا منه القدر الذي ينفعنا فلا نزيد ، إنما نحن نتصور النفخة الباعثة المجمعة التي يأتي بها الناس أفواجا .. نتصور هذا المشهد والخلائق التي توارت شخوصها جيلا بعد جيل ، وأخلت وجه الأرض لمن بعدها كي لا يضيق بهم وجه الأرض المحدود ... نتصور مشهد هذه الخلائق

---

(١) – سورة الحجر ، آية : ٢٩

(٢) – سورة الزمر آية : ٦٨ . والحديث أخرجه أبو الشيخ في العظمة جزءا من حديث ٣/ ٨٢٢، طبعة دار العاصمة – الرياض الطبعة الأولى، ١٤٠٨ . والبيهقي في البعث والنشور جزءا من حديث كذلك ص : ٣٣٦ برقم ٦٠٩. مركز الخدمات والأبحاث الثقافية، بيروت الطبعة الأولى، ١٤٠٦ هـ – ١٩٨٦ م

جميعا ..أفواجا ..مبعوثين قائمين آتين من كل فوج إلى حيث يحشرون . ونتصور الأجداث المبعثرة وهذه الخلائق منها قائمة . ونتصور الجموع الحاشدة لا يعرف أولها آخرها ، ونتصور هذا الهول الذي تثيره تلك الحشود التي لم تتجمع قط في وقت واحد ، وفي ساعة واحدة إلا في هذا اليوم ..... أين ؟ لا ندري ..... ففي هذا الكون الذي نعرفه أحداث وأهوال جسام : " والفاء في قوله تعالى : (فَتَأْتُونَ) فصيحة تفصح عن جملة حذفت ثقة بدلالة الحال عليها ، وإيذانا بغاية سرعة الإتيان ، كما في قوله تعالى : (أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ)[1] أي : فتبعثون في قبوركم فتأتون عقب ذلك من غير لبث (أَفْوَاجًا) ؛ جماعات مختلفة الأحوال ، متباينة الأوضاع ، حسب اختلاف أعمالكم وتباينها ، من راكب ، وطائر وماش ، خفيف وثقيل ، ومكب على وجهه ، وغير ذلك من الأحوال العظيمة ، أو : أمما ، كل أمة مع رسولها ، كما في قوله تعالي : (يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ)[2] . ولكن الآية بتاء الخطاب : (فَتَأْتُونَ) مما يشعر بأن الأفواج في هذه الأمة .

الهول الثاني : قوله سبحانه : (وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ) هذه السماء المبنية المتينة ها هي قد تفتحت فكانت أبوابا فهي منشقة ، منفرجة ، كما جاء في مواضع وسور أخرى ،على هيئة لا عهد لنا بها . وقيل : إنها تشقق لنزول الملائكة ، وصيغة الماضي لتحقق وقوعه ، (فكانت أبواباً) ؛ فصارت ذات أبواب وطرق ، وفروج ، وما لها اليوم من فروج .

---

(١) – سورة الشعراء آية: ٦٣

(٢) – سورة الإسراء ، آية : ٧١

الهول الثالث : قوله تعالى : (وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ)أي : إن الجبال تسير في الجو على هيئتها بعد قلعها من مقارها ، (فكانت سَرَاباً) ؛ هباء ، تخيل الشمس أنها سراب بعد شدتها ، وصلابتها ، وبعد أن كانت أوتاد الأرض ، أي : تصبح كالسراب لأنها تصير هباء منثورا ، فيراها الناظر كالسراب ، وقد اختلف العلماء في وقت هذا التسيير على قولين :

الأول : أنه قبل البعث ، فلا يقع إلا على أرض قاع صفصف ، وهو ما تقتضيه ظواهر الآيات ، كقوله : (وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ)(١) وقوله : (وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً ، فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ)(٢) والفاء تقتضي الترتيب .

الثاني : أن ذلك التسيير إنما يكون بعد البعث ، وهو ظاهر الآية هنا وسورة القارعة ، وهو الذي اقتصر عليه أبو السعود ، قال : يبدل الله الأرض ، ويغير هيأتها ، ويسير الجبال على تلك الهيئة الهائلة عند حشر الخلائق بعد النفخة الثانية ليشاهدوها ثم يفرقها في الهواء ، وذلك قوله تعالى (فَكَانَتْ سَرَابًا)(٣)

وقد جاء في القرآن ذكر الجبال وأحوالها موصوفة بأمور مختلفة ، لكن يمكن الجمع بينها على ما ذكره الشيخ الطاهر بن عاشور حيث قال : اعلم أن الله تعالى ذكر في مواضع من كتابه أحوال هذه الجبال على وجوه مختلفة، ويمكن الجمع بينها على الوجه الذي نقوله :

---

(١) – سورة الكهف آية : ٤٧

(٢) – سورة الحاقة آية : ١٤ ، ١٥

(٣) – تفسير أبي السعود بتصرف ٦/ ٣٠٤

– وهو أن أول أحوالها : الاندكاك ، وهو قوله : (وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً)[١]

– الحالة الثانية لها : أن تصير كالعهن المنفوش ، وذكر الله تعالى ذلك في قوله : (يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ ، وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ)[٢] وقوله: (يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ ، وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ)[٣]

– الحالة الثالثة: أن تصير كالهباء ، وذلك أن تتقطع وتتبدد بعد أن كانت كالعهن ، وهو قوله: (إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًّا ، وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا ، فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًّا)[٤]

– الحالة الرابعة : أن تنسف ، لأنها مع الأحوال المتقدمة قارة في مواضعها ، والأرض تحتها غير بارزة فتنسف عنها بإرسال الرياح عليها ، وهو المراد من قوله: (فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا)[٥]

– الحالة الخامسة: أن الرياح ترفعها عن وجه الأرض فتطيرها شعاعا في الهواء كأنها غبار ، فمن نظر إليها من بعد حسبها لتكاثفها أجساما جامدة – وهي في الحقيقة مارة ، إلا أن مرورها بسبب مرور الرياح بها

---

(١) – سورة الحاقة آية : ١٤.

(٢) – سورة القارعة :آية ٤، ٥

(٣) – سورة المعارج آية : ٨، ٩ .

(٤) – سورة الواقعة الآيات : ٤– ٦.

(٥) سورة طه آية : ١٠٥.

صيرها مندكة متفتتة، وهي قوله: (وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ)[1] ، ثم بين أن تلك الحركة حصلت بقهره وتسخيره، فقال: (وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً)[2].

– الحالة السادسة : أن تصير سرابا ، بمعنى لا شيء ، فمن نظر إلى مواضعها لم يجد فيها شيئا ، كما أن من يرى السراب من بعد إذا جاء الموضع الذي كان يراه فيه لم يجده شيئا . والله أعلم[3].

ما يستفاد من الآيات الكريمة

١ – التأكيد على عقيدة البعث ، وأنه حق لا ريب فيه.

٢ – هيمنة الله المطلقة على الخلق إيجادا وإعداما.

٣ – أحداث يوم الفصل شديدة الهول ، عظيمة الرعب.

٤ – كل الموجودات سيلحقها الدمار لا محالة.

الموضوع الرابع : الحديث عن أحوال الطاغين يوم القيامة

قال تعالى (إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ، لِلطَّاغِينَ مَآبًا ، لَابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا ، لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ، إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ، جَزَاءً وِفَاقًا ، إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ، وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّابًا ، وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا ، فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا) الآيات من ٢١ : ٣٠

(١) – سورة النمل آية : ٨٨

(٢)(٢) – سورة الكهف آية : ٤٧

(٣) – التحرير والتنوير ١٣/٣٠

ـــ مناسبة الآيات لما قبلها

تأتي هذه الآيات بعد الحديث عن يوم تفصيل وأهواله لتبين لنا حال الناس في هذا اليوم الرهيب ، وقد بدأت الآيات ببيان حال الكفار ترهيبا ، ولأنهم المقصودون بالحديث في السورة ابتداء .

المباحث العربية

-(مِرْصَادًا) يقال: رصدت فلانا أرصده إذا ترقبته. و المرصاد : الموضع الذي ترصد الناس فيه ، وقيل: المرصاد : المكان الذي يرصد فيه العدو(١).

قلت :فالمرصاد يطلق على المكان المعد للرصد ، أو هو الشخص الذي يجلس في هذا المكان المعد لرصد هؤلاء . أي : إن جهنم ترصد الكفار أي تنتظرهم . ومرصادا : خبر كان : أي راصدة للمعذبين.

- (لِلطَّاغِينَ) ، يقال :طغى: أسرف في المعاصي والظلم. وطغى: ارتفع وغلا في الكفر ؛ ومنه قوله تعالى: (للطَّاغِينَ مآباً) .والطغيان: الاعتداء في حدود الأشياء ومقاديرها(٢).

---

(١) - لسان العرب لابن منظور حرف الدال فصل الراء مادة رصد ١٧٨/٣ وما بعدها بتصرف . ومعجم اللغة العربية المعاصرة د أحمد مختار ٨٩٩/٢ .عالم الكتب - الطبعة الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م

(٢) - تاج العروس من جواهر القاموس للزبيدي ٣٨/ ٤٩٢. بتصرف . دار الهداية بدون تاريخ

-(مَآبًا) : يقال: آب الغائب يؤوب إيابا : إذا رجع. ويقال: لتهنئك أوبة الغائب، أي: إيابه. والمآب: من الأوب بمعنى المرجع[1]. وللطاغين : جار ومجرور متعلق ب مرصادا ، ومآبا : خبر ثان لكان ، أي : مرجعا لهم يرجعون إليها.

والمعنى : إن جهنم كانت للمتجاوزين الحد في الظلم والعصيان، مكانا معدا لهم ،لا يستطيعون الهرب منه. فهي كالحارس اليقظ الذي يقف بالمرصد ، فلا يستطيع أحد أن يتجاوزه.

-(لَابِثِينَ فِيهَا) : اللبث واللباث: المكث . قال ابن سيده: لبث بالمكان يلبث : أقام[2]. والمعنى : مقيمين فيها[3] . ولابثين : حال مقدرة من الضمير المستكن في للطاغين ،

-(أَحْقَابًا) : جمع حقبة أو حقب ، والحقب بضمتين :الدهر ، والأحقاب : الدهور . والحقبة بالكسر : السنة ، والجمع حقب ، والحقب بالضم والسكون : ثمانون سنة . وقيل أكثر من ذلك ، وأقل[4] ، والمراد : مددا متطاولة لا نهاية لها . وأحقابا : ظرف متعلق بلابثين.

---

(١) – تهذيب اللغة للأزهري حرف الباء مادة : آب ١٥/ ٤٣٥ بتصرف . دار إحياء التراث العربي – بيروت. الطبعة الأولى، ٢٠٠١م وتاج العروس للزبيدي مادة أوب ٢/ ٣٣. المعجم الوسيط باب الحاء ١/ ١٨٧ مجمع اللغة العربية بالقاهر دار الدعوة

(٢) – لسان العرب حرف الثاء فصل اللام مادة لبث ١٨٢/٣

(٣) – تاج العروس للزبيدي مادة لبث ٥/ ٣٣٨ بتصرف

(٤) – لسان العرب حرف الباء فصل الحاء مادة حقب ١/ ٣٢٦. بتصرف. وتاج العروس من جواهر القاموس للزبيدي ٢مادة حقب/٣٠١ بتصرف

-(بَرْدًا) ، البرد : ضد الحر ، والبرد : النوم ، ومنه قولهم : منع البرد البرد .

الأول : معروف ، والثاني : النوم ، وقال غير أبي عبيدة: البَرْدُ: برد الشراب. وزعموا أن العرب تصف المرأة بالبرد. واحتجوا بقول الشاعر:

زعم الْهمامُ بأنّ فاها بارِدٌ ... عذبٌ إذا ما ذُقْتهُ قلتَ ازدَدِ[1]

وقال القتبي : البرد : النوم . وقال الزجاج : يجوز أن يكون البرد : نوما، ويجوز أن يكون معناه : لا يذوقون فيها برد ريح ، ولا ظل[2] .

والمعنى: (لا يَذُوقُونَ فِيها) أي: في جهنم (بَرْداً) أي: شيئا يخفف عنهم حرها، من هواء بارد، أو نسيم عليل ، أو ماء يبرد به البدن من حرها. وأيضا :لا يستطيعون النوم من شديد العذاب. وجملة : لا يذوقون : حال من الضمير في لابثين ، أي لابثين غير ذائقين ، فهي حال متداخلة ، أو صفة لأحقابا. وبردا : مفعول به ، والواو : حرف عطف ، ولا: نافية، وشرابا : عطف على : بردا.

---

(١) - ديوان النابغة الذبياني ص ٢٥ بدون بيانات.

(٢) - الزاهر في معاني كلمات الناس لأبي بكر الأنباري١٩٦/١ بتصرف - مؤسسة الرسالة - بيروت الطبعة الأولى ١٤١٢ هـ -١٩٩٢ والمُنَجَّد في اللغة لعلي بن الحسن فصل الباء ص ١٤٠ بتصرف عالم الكتب، القاهرة الطبعة: الثانية، ١٩٨٨ م العين للخليل بن أحمد حرف الدال باب الدال والراء والباء معهما مادة برد ٣٠/٨ بتصرف- دار ومكتبة الهلال بدون تاريخ. الدلائل في غريب الحديث لقاسم بن ثابت العوفي ٢/ ٩٤٨ بتصرف - مكتبة العبيكان، الرياض الطبعة الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م

-(حَمِيمًا) : قال الأزهري: الحميم والحميمة جميعا: الماء الحار. وشربت البارحة حميمة أي ماء سخنا[1]. وحميما : بدل من : شرابا ، لأن الكلام غير موجب ، وغساقا : عطف عليه ، وهذا أسهل مما سلكه المفسرون فقد قال بعضهم : إنه استثناء منقطع . قال الزمخشري: «لا يذوقون فيها بردا ينفس عنهم حر النار ، ولا شرابا يسكن عطشهم ، ولكن يذوقون فيها حميما» وقال أبو حيان: «الظاهر أنه متصل من قوله ولا شرابا»

-(غساقاً) : هو القيح والصديد الدائم السيلان من أجساد أهل النار ، قال صاحب القاموس : وغساق كسحاب وشداد : البارد المنتن[2] . وقال الهروي عن الليث : وغساقا ، أي : منتنا ، ودل عليه قوله - صلى الله عليه وسلم : " لو أن دلوا من غساق يهراق في الدنيا ، لأنتن أهل الدنيا[3] " ، وقيل : ما يسيل من أعينهم من دموعهم يسقون به مع الحميم[4].

---

(١) - لسان العرب لابن منظور ١٢/ ١٥٣

(٢) - القاموس المحيط للفيروزآبادى ص : ٩١٥

(٣) - أخرجه أبو يعلى في مسنده مسند أبي سعيد الخدري برقم ١٣٨١. وقال محققه حكيم أسد إسناده ضعيف وأخرجه القاسم بن بشران في أماليه دار الوطن للنشر، الرياض الطبعة الأولى، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م والبيهقي في البعث والنشور ص ٢٩٠ برقم ٥١٤ مركز الخدمات والأبحاث الثقافية، بيروت الطبعة الأولى، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م قلت : وإن كان السند ضعيفا لكن لا مانع عقلا أو لغة أن يكون المتن صحيحا. إذ لا يلزم من ضعف السند ضعف المتن. والله أعلم.

(٤) - تاج العروس من جواهر القاموس للزبيدي ٢٦/ ٢٥٢ بتصرف. ولسان العرب لابن منظور ١٠/ ٢٨٩ ،بتصرف.

-(جَزَاءً وِفَاقًا) أي جزاء موافقا لأعمالهم القبيحة التي كانوا يعملونها في الدنيا ، ومناسبا لها[1]. و(جَزاءً) : مصدر منصوب بفعل محذوف ، أي جوزوا بذلك جزاء و (وِفاقاً) : نعت لجزاء.

-(كِذَّابًا) : الكذب: ضد الصدق. الكِذابُ : لغة في الكذب. والكِذّابُ، بالتشديد أي: كثير الكذب.[2] وكذابا : مفعول مطلق أي تكذيبا.

- (وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا) : أحصى الشيء: عده وأحاط به، حصره، وضبطه ، أحصى عليه أنفاسه: راقبه، تعقبه، ضيق عليه[3]- والمعنى : كتبناه كتابا ، وعلمناه علما ، أي أن الملائكة يحصون زلات العاصين ، ويكتبونها في صحائفهم . وقوله : (وَكُلَّ) : منصوب على الاشتغال ، أي: وأحصينا كل شيء أحصيناه ، وهي جملة اعتراضية بين السبب ومسببه لأن قوله بعد: (فَذُوقُوا) مسبب عن تكذيبهم ، وفائدة الاعتراض : تقرير ما ادعاه من قوله جزاء وفاقا ، وجملة أحصيناه : مفسرة لا محل لها من الإعراب.

---

(١) - تاج العروس للزبيدي ٢٦ /٤٨٠. بتصرف.

(٢) - كتاب العين للخليل بن أحمد ٥ /٣٤٧ ، جمهرة اللغة ١/ ٣٠٥ بتصرف لابن دريد الأزدي دار العلم للملايين - بيروت الطبعة: الأولى، ١٩٨٧م

(٣) - معجم اللغة العربية المعاصرة د أحمد مختار عبد الحميد عمر ٥١١/١ عالم الكتب الطبعة الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م ومختار الصحاح لأبي عبد الله الحنفي الرازي ص ٧٥ المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت - صيدا الطبعة الخامسة، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م

– قوله تعالى : (لَابِثِينَ) ، قرأ حمزة : لبثين بغير ألف. والباقون : لابثين بالألف، ومعناهما واحد[١].

– قوله : (وَغَسَّاقًا) ، قرأ حمزة والكسائي وخلف وحفص بتشديد السين. وقرأ الباقون بتخفيفها فيها[٢].

– واتفقوا على قوله تعالى: (وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّابًا) في هذه السورة أنه بالتشديد لوجود فعله معه[٣].

من أسرار التعبير

– قوله : (إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا) مرصادا صيغة مبالغة للراصد الشديد الرصد، وصفت جهنم بذلك، لأن الكافرين لا يستطيعون التفلت منها مهما حاولوا ذلك.

– قوله : (وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّابًا) أوثر التعبير بالمصدر فقال : (كذابا) دون التكذيب، للإشعار بأن تكذيبهم لآيات الله– تعالى– قد وصل الغاية في قبحه وإفراطه. وهو منصوب على أنه مفعول مطلق مؤكد لعامله.

– بين قوله تعالى :(بَرْداً. . وحَمِيماً) طباق

– الأمر في قوله تعالى : (فَذُوقُواْ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلاَّ عَذَاباً) يراد به الإهانة والتحقير ، وبين هذه الآية وما قبلها: التفات من الغيبة إلى الخطاب زيادة في التوبيخ والإهانة.

---

(١) النشر في القراءات العشر لابن الجزري٢/ ٣٩٧

(٢) – النشر ٢/ ٣٦١

(٣) – النشر ٢/ ٣٩٧

المعنى العام

قال تعالى (إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا) : هذه الآيات الكريمة شروع في بيان حال المكذبين بالبعث يوم القيامة العظيم ، فتذكر الآيات أن جهنم في هذا اليوم ستكون مكانا وموضعا لرصد الكفار للعذاب ، فلا يستطيعون الهرب منها ، فهي بمنزلة الحارس اليقظ الذي يقف بالمرصاد ، فلا يستطيع أحد أن يتجاوزه ، والمقصود بهذه الآية الكريمة تهديد الذين أشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا ، وبيان أنه لا مهرب لهم من جهنم ، وأنها في انتظارهم ، كما ينتظر العدو عدوه ليقضي عليه ، والسبب في ذلك ما اكتسبته أيديهم من الطغيان الذي تجاوزوا فيه كل حد رغم وضوح الآيات ، وسطوع البراهين ، فهؤلاء تنتظرهم جهنم وتترقبهم لتكون لهم مآبا ومرجعا يؤوبون إليه ، ليكون مسكنا دائما أبدا ، لأنهم لابثون فيها أحقابا، أي: أزمانا غير محدودة ، لا يعلمها إلا الله، وهم في هذه الحالة لا يذوقون ماء يبرد به البدن ، ولا يجدون ظلا يظلهم من حرها ولهيبها ولا يتمكنون فيه من لحظة نوم تستريح به أبدانهم إنهم لا يجدون إلا ماء حميما يشوي الوجوه ، ويقطع الأمعاء ، أو صديدا يقطر من جلود أهل النار!! جازاهم ربك على أفعالهم جزاء وفاقا!! ثم تبين الآيات السبب في ذلك ، فتذكر سببين:

الأول : (إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا) ، أي : إنهم كانوا لا يرجون حسابا على أعمالهم.

الثاني : (وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّابًا) ، أي : وكذبوا بآياتنا الناطقة على إمكان البعث وكمال القدرة تكذيبا مفرطا، إنهم قد ارتكبوا هاتين الجريمتين العظيمتين في حين أن كل شيء صدر عنهم من قول أو فعل قد حفظناه

وضبطناه في كتاب إحصاء دقيقا ، وحيث كان الأمر كذلك ، فإنهم يقال لهم على سبيل الإهانة والاحتقار: ذوقوا هذا العذاب، فلن نزيدكم بعده إلا عذابا مثله أو أشد.

أرأيت أخي الكريم : كيف حال هؤلاء المجرمين في النار ؟ أرأيت حال شرابهم ؟ ياله من شراب حار ! ياله من وضع بائس حزين ! وهم الذين تقلبوا في نعيم الدنيا طويلا ! ياله من وضع بائس حين يجبرون على شراب بمجرد أن يقربوه من وجوههم يشويها (وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا)[1] ورغم ذلك يشربونه بنهم شديد : (فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ ، فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ)[2] إنه الشراب الذي يفتك بالأمعاء فتكا (وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ)[3]

<u>ما يستفاد من الآيات الكريمة</u>

١- التحذير من الطغيان ، وبيان عاقبة الظالمين.

٢- بيان حال النار يوم القيامة ، ومدى ترقبها لمجيء الظالمين .

٣ – التبشيع من أمر التكذيب بالبعث.

٤- كل أعمال العباد مؤمنهم وكافرهم محصاة عليهم ، وسيجازون بها.

٥- التأكيد على عقيدة البعث من خلال ذكر ما يترتب عليه من آثار.

٦- أبدية العذاب في الدار الآخرة .

---

(١) ٠ سورة الكهف ، آية : ٢٩

(٢) – سورة الواقعة آية ٥٤ ، ٥٥

(٣) – سورة محمد ، آية : ١٥

الموضوع الخامس : الحديث عن جزاء المتقين

قال تعالى:

(إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ، حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا ، وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ، وَكَأْسًا دِهَاقًا ، لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّابًا ، جَزَاءً مِنْ رَبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا) الآيات من ٣١ : ٣٦

- مناسبة الآيات لما قبلها

بعد أن تحدثت الآيات السابقة عن حال أهل النار، أتبعته بالحديث عن حال أهل الجنة، ليتبين الفرق بين الفريقين. فأهل الجنة هم الفائزون الناجون، حيث نجوا من النار، وأدخلوا الجنة، فضلا من الله وإحسانا.

المباحث العربية

-(مَفَازًا) الفوز : الظفر بالخير والنجاة من الشر. يقال: فاز بالخير ، وفاز من العذاب أي : ذهب به[١] ، والمفازة أي : الفلاة ، سميت بذلك قيل : على طريق التفاؤل. وقيل : لأن من قطعها فاز ونجا. وقيل : لأنها تهلك سالكها ، كما سميت مهلكة من قولهم : فوز الرجل إذا هلك[٢].وقوله : (إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفازاً): جملة مستأنفة جيء بها لبيان أحوال الطائعين ، وقوله : (لِلْمُتَّقِينَ) : خبر إن مقدم و (مَفازاً) اسم إن مؤخر.

---

(١) - لسان العرب لابن منظور حرف الزاي فصل الفاء مادة فوز ٣٩٢/٥

(٢) مشارق الأنوار على صحاح الآثار لأبي الفضل السبتي ٢/ ١٦٤المكتبة العتيقة ودار التراث بدون تاريخ.

-(حَدَائِقَ) : الحديقة : البستان من النخل والشجر[1] قال الزبيدي : الحديقة : البستان عليه الحائط، وخص بعضهم من النخل والشجر : الملتف، وهو قول ابن دريد والزجاج، وخص بعضهم الشجر بالمثمر، وقال بعضهم: بل هي الجنة من نخل وعنب[2]وقال الراغب: قطعة من الأرض ذات ماء سميت بذلك تشبيها بحدقة العين في الهيئة وحصول الماء فيها ، وكأنه أراد ذات ماء وشجر[3]. و(حَدَائِقَ) بدل بعض من كل من قوله : (مَفَازاً) ، (وَأَعْنَابًا) وما بعده : عطف على حدائق.

-(كَوَاعِبَ) ، الكعب: معروف : كعب الإنسان ، وكعب الدابة ، والجمع : كعاب وكعوب ، وجارية كعاب وكاعب إذا كعب ثدياها ، والتكعيب: أن يصير له حجم ، والجمع كواعب[4]، وهي الفتاة التي وصلت إلى سن البلوغ ، وسميت بذلك لأنها في تلك السن يتكعب ثدياها ، أي : يستديران مع ارتفاع .

-(أَتْرَابًا): يقال : ترب الرجل: صار في يده التراب. وترب تربا: لزق بالتراب، وقيل: لصق بالتراب من الفقر. وترب تربا ومتربة: خسر وافتقر، فلزق بالتراب. وأترب: كثر ماله فصار كالتراب. والترب: اللدة والسن، وقيل: ترب الرجل: الذى ولد معه، وأكثر ما يكون ذلك في المؤنث. يقال: هي تربها، والجمع أتراب. وقال ثعلب : الأتراب : الأمثال، قال ابن منظور

---

(١) - جمهرة اللغة لابن دريد الأزدي ١/ ٥٠٤ .دار العلم للملايين - بيروت الطبعة: الأولى، ١٩٨٧م

(٢) - تاج العروس للزبيدي ٢٥/ ١٤٣

(٣) - مفردات ألفاظ القرآن للراغب ١/ ٢١٨ دار القلم . دمشق بدون تاريخ.

(٤) - جمهرة اللغة لابن دريد الأزدي ٣٦٥/١

: وهو حسن، إذ ليست هناك ولادة. وقيل: أترب: قل ماله[١]. ، والمقصود : أنهن في سن واحدة كاللدات .

-(كَأْسًا) : الكأس مؤنثة. قال الله تعالى: (يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ ، بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ)[٢] ولا تسمى الكأس كأسا إلا وفيها الشراب. والجمع كؤوس، وأكؤس، وكياس[٣]. قلت : وهو إناء من البلور يشرب فيه .

-(دِهَاقًا) : قال ابن عباس : أي مملوءة. يقال : أدهقت الكأس : إذا ملأتها. وأدهقت الماء : إذا أفرغته إفراغا شديدا، فهو إذا من الأضداد[٤].

-(لَغْوًا) : اللغو، واللغا: السقط، وما لا يعتد به من كلام وغيره، ولا يحصل منه على فائدة ولا نفع. وشاة لغو، ولغا: لا يعتد بها في المعاملة[٥].وقد يسمى كل كلام قبيح لغوا ، وكذا ما لا يعتد به مطلقا. وجملة : (لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّابًا) : حال من المتقين.

-(حِسَابًا) : الحسب: قدر الشيء كقولك: على حسب ما أسديت إلي. وأما حسب مجزوم فمعناه كفى، تقول: حسبك ذاك أي كفاك ذاك. وقال الفراء

---

(١) - المحكم والمحيط الأعظم لابن سيده حرف التاء مادة ت رب ٤٧٩/٩ ،٤٨٠. ولسان العرب لابن منظور حرف الباء - فصل التاء - مادة ترب ١/ ٢٣١

(٢) - سورة الصافات ، آية ٤٥ ، ٤٦

(٣) - الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية للجوهري باب السين - فصل الكاف مادة كأس ٣/ ٩٦٩ دار العلم للملايين - بيروت الطبعة الرابعة ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م. ولسان العرب لابن منظور حرف السين - فصل الكاف ٦/ ١٨٩ بتصرف

(٤) - النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير- حرف الدال - باب الدال مع الهاء مادة دهق ٢ / ١٤٥ - المكتبة العلمية - بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م

(٥) - المحكم والمحيط الأعظم لا بن سيده ٦١/٦. وتهذيب اللغة للأزهري ٨/ ١٧٣

فـي قـول الله عـز وجـل:(يَـا أَيُّهَـا النَّبِـيُّ حَسْـبُكَ اللَّهُ وَمَـنِ اتَّبَعَـكَ مِـنَ الْمُؤْمِنِينَ)[١] جاء في التفسير: يكفيك الله ويكفي من اتبعك كافيا على قدر أعمالهم . قال: وقوله تعالى: (عَطَاءً حِسَابًا)[٢] أي كافيا[٣] . و (جَزَاءً) : مفعول مطلق لفعل محذوف أي: جزاهم الله بذلك جزاء و(مِنْ رَبِّكَ) : نعت لجزاء و(عَطَاءً) : بدل من جزاء.

القراءات

قرأ الكسائي : كذاباً بالتخفيف، يعني: لا يكذب بعضهم بعضا. وقرأ الباقون بالتشديد فهو من التكذيب[٤].

من أسرار التعبير[٥]

- قولـه سبحانه : (إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا) ، صدرت الجملـة بحرف -إن - للدلالـة على الاهتمام بالخبر لئلا يشك فيه أحد ، وتقديم خبر إن على اسمها للاهتمام به تنويها بالمتقين.

---

(١) - سورة الأنفال ، آية : ٦٤

(٢) - سورة النبإ آية : ٣٦

(٣) - تهذيب اللغة للأزهري ١٩٢/٤

(٤) - النشر في القراءات العشر لابن الجزري ٢/ ٣٩٧

(٥) - التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور ٣٠ / ٤٣ . وما بعدها . والتفسير الوسيط د محمد سيد طنطاوي١٥/ ٢٥٧ .وما بعدها . ومفاتيح الغيب للرازي٣١/ ٢٢ وما بعدها ، والبحر المحيط لأبي حيان ٣٨٩/١٠ وما بعدها . وروح المعاني للآلوسي ٢١٨/١٥ وما بعدها.

– عبر القرآن بكلمة (مَفَازًا) دون كلمة: الجنة، مثلا ، لأن في هذا التعبير ما يثير الندم في نفوس المخاطبين بقوله : (فَتَأْتُونَ أَفْواجاً)[1] وبقوله: (فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذاباً)[2].

- **ذكر الأعناب بعد الحدائق في قوله سبحانه: (حَدائِقَ وَأَعْناباً) هو من قبيل ذكر الخاص بعد العام على سبيل الاهتمام بالخاص ، وخصت الأعناب بالذكر، لأنها من أعظم الفواكه وأحبها إلى النفوس.**

– (من) في قوله تعالى :(جَزَاءً مِنْ رَبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا) ابتدائية ، أي : عطاء صادرا من لدن الله، وذلك على سبيل التنويه بكرم هذا الجزاء وعظم شأنه.

– إضافة رب إلى ضمير المخاطب في قوله (ربك) المقصود به النبي – صلى الله عليه وسلم – للإشارة إلى أن جزاء المتقين بذلك يشتمل على إكرام النبي – صلى الله عليه وسلم – لأن إعطاء هذه النعم إلى المتقين كان لأجل إيمانهم به ، وعملهم إنما كان بما هداهم إليه – صلى الله عليه وسلم.

- **وصف الجزاء بعطاء ، وهو اسم لما يعطى، أي يتفضل به بدون عوض للإشارة إلى أن ما جوزوا به أوفر مما عملوه.**

---

(١) – سورة النبأ ، آية : ١٨

(٢) – سورة النبأ ، آية : ٣٠ ، وانظر التحرير والتنوير لابن عاشور ٣٠/ ٤٣ ، ٤٤ بتصرف.

المعنى العام

تأتي هذه الآيات الكريمة لبيان حال المؤمنين يوم القيامة بعد بيان حال الكافرين المكذبين بيوم الدين فتخبرنا السورة الكريمة بأن للمتقين الذين آمنوا بالنبي – صلى الله عليه وسلم – واتبعوا ما أمرهم به ، واجتنبوا ما نهاهم عنه فوزا عظيما بما عملوا في الدنيا، وأن لهم في الجنة موضع فوز ومكان نجاة، فيه ما فيه من حدائق على أجمل وأروع ما يكون من زروع خضراء تأخذ بالقلوب قبل النواظر ، وهي مع ذلك ذات بهجة وسرور ، ونعيم مقيم لا يحول ولا يزول ، وأن لهم فيها فواكه وأعنابا، وكواعب أترابا، أي: نساء حسانا في سن واحدة فهن متماثلات في السن والحسن والصفاء والنقاء ، وهن مطهرات من كل دنس ومن كل منفر ، وكذلك مطهرات من كل ما يبعد الرجال عنهن ، ومما لا شك فيه أن التمتع بهذا الصنف من النساء أمنية كل رجل في دنيا الناس ، فيجعل الله ذلك لهم رزقا في الآخرة على حد قوله تعالى : (وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ كُلَّما رُزِقُوا مِنْها مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقاً قالُوا هذَا الَّذِي رُزِقْنا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشابِهاً وَلَهُمْ فِيها أَزْواجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيها خالِدُونَ)[1] ، وقوله سبحانه : (وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا)[2]، وكذلك لهم فيها كؤوس مملوءة بكل ما تشتهيه الأنفس من المشروبات من الخمر التي ليست كخمر الدنيا ، حيث إن طعمها لا ألذ منه ولا أحلى ، وهي كذلك لا تغتال

(١) – سورة البقرة آية :٢٥

(٢) – سورة النساء آية : ٥٧

العقول ولا الأفهام ، فهم لا يلغون بكلام لا معنى له ، ولا فائدة منه ، إذ هي دار السلام، وكل ما فيها سالم من النقص. وأيضا هم لا يكذبون ولا يسمعون لغوا ولا كذبا من غيرهم ، وقد جازاهم الله سبحانه على أعمالهم بهذا الجزاء العظيم تفضلا منه وتكرما.

ما يستفاد من الآيات

١- بيان منزلة المتقين ، وفضل التقوى.

٢- التقوى سبب دخول الجنة.

٣ - أن الفوز بالجنة ، والنجاة من النار من نصيب المتقين يوم القيامة.

٤- بيان نعيم أهل الجنة من التمتع بالحدائق المثمرة ، والبساتين المتنوعة الأشجار والأثمار، والحور العين اللاتي على أكمل ما تكون عليه المرأة ، وكذلك الخمور ذات اللذة الفائقة.

٥ – في الآيات وصف رائع لنعيم الجنة.

٦- ذم الكذب واللغو وأهلهما.

٧ - لا وجود للملوثات السمعية أو البيئية في الجنة، فلا يسمع أهلها باطلا من الكلام، ولا تكذيبا لبعضهم بعضا في مجالس الشراب والمتعة .

٨ - الترغيب في العمل الصالح واجتناب العمل السيء الفاسد.

الموضوع السادس : من أهوال يوم القيامة .

قال الله تعالى :

(رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ، يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا، ذَلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ مَآبًا ، إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا) الآيات من ٣٧ :٤٠

مناسبة الآيات لما قبلها

بعد أن تحدثت الآيات الكريمة السابقة عن وعيد الطاغين ، ووعد المتقين ، ختمت بالإخبار عن عظمته سبحانه ، وشمول رحمته ، ثم أتبعت الآيات بالحديث عن يوم القيامة ، وأنه اليوم الحق الذي لا ريب فيه ، مبينا حال الناس في هذا اليوم.

المباحث العربية

-(صَفًّا) الصف : السطر المستوي من كل شيء وجمعه صفوف[1] ، أو هو تساو بين شيئين فأكثر في المقر ، يقال وقفا صفا، إذا وقف كل واحد إلى جنب صاحبه[2]. ويقال : صف القوم صفا : إذا وقفوا بجوار بعضهم

(١) – المحكم والمحيط الأعظم لابن سيده ٨/ ٢٧٢

(٢) – مقاييس اللغة لابن فارس ٣/ ٢٧٥ بتصرف

في صلاة أو حرب. وصف الطائر إذا بسط جناحيه في طيرانه[1].قال الإمام النسفي رحمه الله : (صَفًّا): حال : أي مصطفين [2].

-(صَوَابًا) ، الصواب : ضد الخطأ ، وأصاب : جاء بالصواب ، وأصاب أراد الصواب . واستصوبه واستصابه : رآه صوابا[3]. والصواب: السداد والحق[4] والمعنى : قال : قولا صوابا .

- وقوله : ((يَوْمَ) : ظرف متعلق بقوله : (لَا يَمْلِكُونَ) ، أو بقوله : (لا يَتَكَلَّمُونَ) ، وقوله : ((يَوْمَ) : مضاف ، وجملة : (يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلائِكَةُ) : جملة في محل جر مضاف إليه ، وقوله : (صَفًّا) : حال ، أي: مصطفين وجملة : (لا يَتَكَلَّمُونَ) : تأكيد لقوله سبحانه : ((لَا يَمْلِكُونَ) ، أو هي جملة مستأنفة. و (إِلَّا) : أداة استثناء حصر و(مَنْ) : منصوب على الاستثناء ، لأن الاستثناء غير موجب ، و (صَواباً) : صفة لمصدر محذوف أي : قولا صوابا.

-(أَنْذَرْنَاكُمْ) الإنذار: الإخبار بحصول شيء تسوء عاقبته، في وقت يستطيع المنذر فيه أن يجنب نفسه الوقوع في ذلك الشيء. قال صاحب

(١) - جمهرة اللغة لابن دريد حرف الصاد ١/ ١٤٢

(٢) - تفسير النسفي ٢/ ٥٩٣

(٣) - المحكم والمحيط الأعظم لابن سيده ٨ / ٣٨٦

(٤) - المعجم الوسيط مجمع اللغة العربية بالقاهرة ١/ ٥٢٧

اللسان : أصل الإنذار : الإعلام. يقال: أنذرته أنذره إنذارا إذا أعلمته ، ولا يكون إلا في التخويف، ومنه قوله تعالى : (فَكَيْفَ كانَ عَذابِي وَنُذُرِ)[1] .

– (مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ) : التقديم : تسبيق الشيء والابتداء به وما قدمت يداه : هو ما أسلفه من الأعمال في الدنيا من خير أو شر. وأكثر ما يستعمل مثل هذا التركيب في القرآن في العمل السيء، فصار جاريا مجرى المثل[2]، قال تعالى: (ذلِكَ بِما قَدَّمَتْ يَداكَ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ)[3]، وَقَالَ: (وَما أَصابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِما كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ)[4]. و(مَا) : اسم موصول في محل نصب مفعول به ،وجملة : (قَدَّمَتْ يَدَاهُ) : لا محل لها من الإعراب صلة الموصول.

–(كُنْتُ تُرَابًا) : أي: ويقول الإنسان الكافر في هذا اليوم على سبيل الحسرة والندامة: يا ليتني كنت في الدنيا ترابا، ولم أخلق بشرا، ولم أكلف بشيء من التكاليف ، ولم أبعث ، ولم أحاسب.

<u>القراءات</u>

– قوله سبحانه : (رَبِّ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ وَما بَيْنَهُمَا الرَّحْمنِ) قرأ ابن عامر، ويعقوب، والكوفيون بخفض الباء، وقرأ الباقون برفعها. فمن قرأ بالكسر فهو على معنى الصفة ، أي: جزاء من ربك رب السموات

---

(١) سورة القمر ، آية : ولسان العرب لابن منظور باب الراء فصل النون مادة نذر ٣٠١/٥ وما بعدها. بتصرف.

(٢) – التحرير والتنوير لابن عاشور ١٥/ ٣٥٥ بتصرف.

(٣) – سورة الحج آية : ١٠

(٤) – سورة الشورى آية : ٣٠

والأرض، ومن قرأ بالضم فمعناه هو رب السموات والأرض ، وأما قوله : (الرَّحْمنِ) ، فقد قرأ ابن عامر ويعقوب، وعاصم بخفض النون، وقرأ الباقون برفعها[١]

من أسرار التعبير

- أتبع وصف رب السماوات بذكر اسم من أسمائه الحسنى، وهو اسم الرحمن ، وخص بالذكر دون غيره من الأسماء الحسنى إشارة إلى أن ما يفيضه من خير على المتقين في الجنة هو عطاء رحمان بهم.

- عبر القرآن بقوله : الرحمن - في مقام لفظ الجلالة إشارة إلى أن إذنه بالشفاعة هو من آثار رحمته .يقول الشيخ الطاهر بن عاشور: إطلاق صفة الرحمن على مقام الجلالة إيماء إلى أن إذن الله لمن يتكلم في الكلام أثر من آثار رحمته لأنه أذن فيما يحصل به نفع لأهل المحشر من شفاعة أو استغفار[٢].

- قوله تعالى : (إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ) صدرت الجملة بحرف التوكيد مبالغة في قطع عذر القوم . يقول الإمام ابن عاشور: افتتح الخبر بحرف التأكيد للمبالغة في الإعذار بتنزيلهم منزلة من يتردد في ذلك. وجعل المسند فعلا مسندا إلى الضمير المنفصل في قوله : (إنا أنذرناكم) تقوية للحكم. وعبر بقوله (عَذَابًا قَرِيبًا) إشارة إلى أن العذاب محقق الوقوع[٣].

---

(١) - النشر في القراءات العشر لابن الجزري ٣٩٧/٢

(٢)(٢) - التحرير والتنوير ٣٠/ ٥٣

(٣) - التحرير والتنوير ٥٠/٣٠

– خص الإنسان الكافر بالذكر من عموم المرء الذي يقول: يا ليتني كنت ترابا ، لأن السورة موضوعها الرئيسي إنذار منكري البعث .

المعنى العام

تبدأ الآيات الكريمة بالثناء على الله تعالى بأنه: (رَبِّ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ وَما بَيْنَهُمَا الرَّحْمنِ، لا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطاباً) ، فهو رب العالمين، رب السموات والأرض وما بينهما ، الرحمن المنعم المتفضل على عباده بهذه النعم العظيمة والمنن الجسيمة .ولو أنه سبحانه قد ساقهم جميعا إلى النار لما كان لأحد منهم على الله من حجة ، وفي هذا اليوم العظيم لا يستطيع أحد أن يسأل الله شيئا عن مصيره المرتقب حيث لا يملك أحد خطابا لله أو مراجعة له جل شأنه. فالكل خائف وجل (يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا)[1] ، ومن ذا الذي يستطيع أن يطلب شيئا من الملك الحق في ذلك اليوم إلا بإذنه سبحانه ، حيث يسود جو من الصمت الرهيب ، والهول العظيم ،(يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا) ، وقد اختلف العلماء في المراد بالروح على سبعة أقوال :

الأول : قال الشعبي والضحاك :هو جبريل عليه السلام. .

ويكون تخصيصه بالذكر قبل ذكر الملائكة المعطوف عليه تشريفا له وتكريما لمكانته في تبليغ الشريعة.

(١) – سورة طه آية : ١٠٨

الثاني : قال ابن مسعود ،ومقاتل بن سليمان : أنه ملك أعظم من السموات والجبال ، والملائكة ، وروى عطاء عن ابن عباس قال : الروح: ملك ما خلق الله أعظم منه ، فإذا كان يوم القيامة قام هو وحده صفا ، وقامت الملائكة كلهم صفا واحدا ، فيكون عظم خلقه مثال صفوفهم .

الثالث : أنها أرواح الناس تقوم مع الملائكة فيما بين النفختين قبل أن ترد إلى الأجساد .

الرابع : قول ابن عباس : أنه جند من جنود الله تعالى ، وليسوا بملائكة. . وقريبا منه قول مجاهد: هم خلق على صورة بني آدم يأكلون ويشربون.

الخامس : قال الحسن ، وقتادة : إنهم بنو آدم.

السادس : قال زيد بن أسلم : أنه القرآن.

السابع : قال مقاتل بن حيان : أنهم أشرف الملائكة.

قال الحافظ ابن كثير :

وتوقف ابن جرير فلم يقطع بواحد من هذه الأقوال كلها، والأشبه –والله أعلم–أنهم بنو آدم(١). ويقول العلامة القاسمي : (يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ) أي جبريل عليه السلام وهو المعبر عنه بروح القدس في آية أخرى وفيه أقوال أخر نقلها ابن جرير. وما ذكرناه أصوبها. والتنزيل يفسر بعضه بعضا. ثم رأيت الرازي نقل عن القاضي اختياره، قال: لأن القرآن دل على أن هذا الاسم اسم جبريل عليه السلام. وثبت أن القيام صحيح من

(١) – تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٨/ ٣١٠

جبريل، والكلام صحيح منه، ويصح أن يؤذن له. فكيف يصرف هذا الاسم عنه إلى خلق لا نعرفه، أو إلى القرآن الذي لا يصح وصفه بالقيام[1]؟

قلت : وظاهر النص القرآني أنه جبريل – عليه السلام – كما رجح الإمام ابن كثير والآلوسي ، ويكون عطف الملائكة على الروح في الآية التي معنا من باب عطف العام على الخاص، بخلاف ما جاء في سورة «القدر» في قوله تعالى: (تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ)[2] ، حيث عطف الخاص على العام . والله تعالى أعلم.

وعلى أي حال فالملائكة على عظيم قدرهم، ورفعة منزلتهم لا يمكنهم أن يتكلموا في هذا اليوم، هيبة لربهم ، إلا أن يأذن لهم ربهم، وقالوا قولا صدقا وصوابا.

وإذن فلا يستطيع أحد من هؤلاء الملائكة أن يشفع لأحد إلا بعد أن يأذن الله له ، ولا يأذن إلا لمن علم أنه سيجاب فيه، لأنه يقول الصواب، علما بأن الكلام على سبيل الشفاعة ليس إلا نوعا من التكريم فقط لمن يأذن له ويختص به.

قال الطاهر بن عاشور : ومعنى أذن الرحمن: أن من يريد التكلم تعتريه رهبة فلا يقدم على الكلام حتى يستأذن الله فيأذن له، وإنما يستأذنه إذا ألهمه الله للاستئذان ، فإذا ألقى الله في النفس أن يستأذن استأذن الله فأذن له ،كما ورد في حديث الشفاعة من إحجام الأنبياء عن الاستشفاع للناس حتى يأتوا محمدا – صلى الله عليه وسلم – قال في الحديث:

(١) – محاسن التأويل للقاسمي ٩/ ٣٩٤

(٢) – سورة القدر آية : ٤

«فأنطلق فآتي تحت العرش فأقع ساجدا لربي – عز وجل – ثم يفتح الله علي من محامد وحسن الثناء عليه شيئا لم يفتحه على أحد قبلي ، ثم يقول: ارفع رأسك واشفع تشفع[1]» وقد أشار إلى هذا قوله تعالى: (وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى)[2] ، أي لمن علموا أن الله ارتضى قبول الشفاعة فيه ، وهم يعلمون ذلك بإلهام هو من قبيل الوحي ، لأن الإلهام في ذلك العالم لا يعتريه الخطأ[3].

(ذَلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ) ، الذي لا شك فيه، ولا ريب ، وقد أشير إليه باسم الإشارة الدال على البعيد – ذلك– بدلا من : هذا، مع قرب التكلم عليه ; إما لبعده زمانيا عن زمن التحدث عنه، وإما لبعد منزلته وعظم شأنه ، وإذا كان الأمر كذلك فمن شاء النجاة والفوز فيه فليتخذ مآبا إلى ربه، وليعمل عملا صالحا يقربه إليه. وليترك جانب الخلاف والتكذيب بهذا اليوم العظيم ، وليغتنم الفرصة الآن قبل ألا يفيد الندم.

ثم تختم آيات السورة الكريمة بما قد بدأت به من تهديد المشركين المكذبين بيوم القيامة الذين يتساءلون عنه مستهزءين محذرة إياهم من عاقبة عنادهم وتكذيبهم. (إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا)حصوله ، فهو يوم قريب الوقوع ، وإن ظننتموه بعيدا ، كما في قوله : (إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيداً

(١) – جزء من حديث صحيح أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الأنبياء – باب قول الله تعالى { إنا أرسلنا نوحا إلى قومه برقم ٣١٦٢، ومسلم في صحيحه في كتاب الإيمان – باب بيان من يخرج من النار برقم ٣٩٩– [٣٢٧–١٩٤]

(٢) – سورة الأنبياء آية : ٢٨

(٣) – التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور ٥٢/٣٠

وَنَرَاهُ قَرِيباً)[1] (يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ) من ذكر أو أنثى ، وإن كان المرء: اسم للرجل الذي مؤنثه امرأة ،فإن التعبير به خرج مخرج الغالب في التخاطب (مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ) ، أي : يوم لا يرى فيه إلا عمله من خير أو شر ، يوم يقول (الْكَافِرُ) في هذا اليوم على سبيل الحسرة والندامة والفزع من المصير الرهيب الذي سوف يصير إليه.: (يَالَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا) لم أخلق، يقول ذلك من شدة هول ما يرى ويشاهد ، ويتمنى أن لو كان جمادا أو حيوانا غير مكلف ، وهى أمنية لا سبيل له إليها.

يقول الشيخ الطاهر بن عاشور:

وهذه الآية جامعة لما جاء في السورة من أحوال الفريقين وفي آخرها رد العجز على الصدر من ذكر أحوال الكافرين الذين عرفوا بالطاغين وبذلك كان ختام السورة بها براعة مقطع[2].

<u>ما يستفاد من الآيات الكريمة</u>

١- أن يوم القيامة يوم رهيب عصيب حيث لا يقدر أحد على مخاطبة الرحمن يوم القيامة إلا لمن أذن له بالشفاعة.

٢- من شدة هول القيامة أنه لا يتكلم جبريل ، أو الملائكة في هذا اليوم إجلالا لربّهم وخوفا منه وخضوعا له، فكيف يكون حال غيرهم؟

٣- أن يوم القيامة حق لا شك فيه، وهو جد قريب ، فالسعيد من اتخذ فيه إلى ربه مرجعا بالإيمان والعمل الصالح.

٤- يتمنى الكافر يوم القيامة لما يرى من أنواع العذاب أن يكون ترابا أو حيوانا غير مكلف بشيء

---

(١) - سورة المعارج ، آية : ٦ ، ٧

(٢) - التحرير والتنوير لابن عاشور ٣٠/ ٥٨

الخاتمة

وبعد هذه الجولة السريعة مع تفسير سورة النبإ تبين ما يأتي

١- أن سورة النبأ سورة مكية بالإجماع، وعدد آياتها أربعون آية .

٢- أن الموضوع الأبرز لسورتنا هو قضية البعث ، وما يتعلق به.

٣ - أن الإنسانية منقسمة على نفسها في شأن ما جاء به أنبياء الله ورسله صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

٤- أنه لا حق للمكذبين بالبعث بعد وضوح الأدلة وظهور البراهين.

٥ – أن القرآن قد سلك مع المخالفين مسلك الحجة والبرهان توصلا لإقناع المنصفين .

٦- تعتبر الأدلة الحسية أحدى الأساليب القرآنية في عرض موضوعاته.

٧-لا دليل يعتمد عليه للمنكرين للبعث ، وإنما هي مجرد محاولات يائسة أشد شبها بمن ينكر ضوء الشمس من رمد.

٨ – من خلال البحث تبين ما لعلم التفسير من شرف ، وأهمية ، ومكانة.

٩ – كذلك يظهر فضل الدارسين لعلم التفسير ومنزلتهم .

١٠ – أن دارس علم التفسير يكتسب ثروة هائلة من العلوم العربية ، والشرعية ، والعقلية ، وكذلك مكتشفات العلم الحديث.

١١ – كذلك يتجلى بوضوح مدى التوافق العظيم بين ما جاء في القرآن وبين ما قد أثبته العلم الحديث.

١٢ – ضرورة العناية بالدراسات القرآنية المواكبة لظروف العصر الحديث.

١٣ – العمل على الاستغلال الأمثل لما توصلت إليه الإنسانية من وسائل الاتصال الحديثة لتوضيح صورة الإسلام الرائعة التي يحاول المجرمون طمسها.

١٤ – ضرورة الوصول إلى الأقليات المسلمة في شتى أنحاء العالم وكذلك المنصفين من غير المسلمين وذلك لإظهار حقيقة الإسلام الرائعة التي أخفتها وتخفيها خفافيش الظلام.

١٥ – العمل على توفير ما يلزم من المال ، والجهد ، ووسائل الاتصال للوصول إلى كل من يمكن الوصول إليه من البشر ودعوتهم إلى هذا الدين الحق بعيدا عما يبثه الأعداء والجاهلون من سموم حول هذا الدين العظيم.

١٦ – ضرورة الحرص على استغلال الطاقات التي وهبها الله لهذه الأمة من البترول وخلافه في ضرورة أن يسمع الآخر عن الإسلام الحق ، وألا يضيقوا عليه الخناق هنا وهناك.

١٧ – الحرص على استغلال وسائل الإعلام داخل دول العالم العربي والإسلامي للحديث المركز والمكثف من المتخصصين الصادقين عن محاسن الإسلام وواقعيته ، وعقلانيته ، وتوافقه مع حقائق مكتشفات العلم الحديث.

١٨ – من السلبيات المنتشرة داخل بلدان المسلمين فشل وسائل الاتصال في التعبير الصادق عن الإسلام.

١٩ – ترتب على ما سبق وجود فئات كثيرة داخل المجتمع المسلم تجهل حقائق هذا الدين مما أدى إلى عدم مبالاة بعضهم بشعائر هذا الدين ، وببعض آخر إلى معاداة وكراهية كل ما يدعو إلى الإسلام.

٢٠ – لا صلاح للأفراد ولا للمجتمعات بدون الإيمان بالله واليوم الآخر كما تحدث عنه القرآن العظيم .

والله الموفق

أهم المراجع

– القرآن الكريم.

– الإتقان في علوم القرآن، لجلال الدين السيوطي، نشر: دار إحياء العلوم، بيروت ١٩٨٧ م.

– أحكام القرآن، عماد الدين ابن الطبري المعروف بالكياالهراسي، تحقيق: موسى محمد علي، ود. عزت عطية، نشر: دار الكتب الحديثة، مصر ١٩٧٤ م.

– أحكام القرآن، لأبي بكر أحمد بن علي الرازي الجصاص، دار الكتاب العربي، بيروت.

– أحكام القرآن، لأبي بكر بن العربي، تحقيق: محمد علي البجاوي، دار المعرفة، بيروت.

– أحكام القرآن، لأبي عبد الله الشافعي، جمع: أبي بكر البيهقي، تحقيق: عبد الغني عبد الخالق، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٧٥ م.

– الأدب المفرد، لأبي عبد الله البخاري المطبعة السلفية ومكتبتها، القاهرة ١٣٨٨ هـ.

– أسباب نزول القرآن، لأبي الحسن الواحدي، تحقيق: السيد أحمد صقر، نشر: دار القبلة، جدة– الرياض ١٩٨٤ م.

– إعراب القرآن، لأبي جعفر النحاس، تحقيق: د. زهير غازي زاهد، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة ١٩٨٥ م.

- إملاء ما من به الرحمن، لأبي البقاء العكبري، مصورة: دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٧٩ م.

- الأنساب، لأبي سعد السمعاني، نشر: دائرة المعارف العثمانية، حيدرآباد الدكن، الهند ١٩٦٢ - ١٩٨٢ م.

- البرهان في علوم القرآن، لبدر الدين الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، نشر: دار المعرفة، بيروت.

- تأويل مختلف الحديث، لابن قتيبة، تحقيق: محمد محيي الدين الأصفر، نشر: المكتب الإسلامي، دار الإشراق، بيروت ١٩٨٩ م.

- تأويل مشكل القرآن، لابن قتيبة الدينوري، تحقيق: السيد أحمد صقر، المكتبة العلمية، المدينة المنورة ١٩٨١ م.

- تاج العروس من جواهر القاموس، لمحمد مرتضى الزبيدي، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج وآخرين، نشر: وزارة الإرشاد الإعلام، الكويت ١٩٦٥ - ١٩٨٤ م.

- التبيان في أقسام القرآن، لابن قيم الجوزية، دار الطباعة المحمدية، مصر ١٩٦٨ م.

- التعريفات، لعلي بن محمد الجرجاني، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت ١٩٨٥ م.

- تفسير التحرير والتنوير، لمحمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية، تونس ١٩٨٤ م. م.

- تفسير غريب القرآن، لابن قتيبة الدينوري، تحقيق: السيد أحمد صقر، مصورة: دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٧٨ م.

- تفسير القرآن العظيم، لأبي الفداء ابن كثير، دار الفكر، بيروت ١٩٧٠م.

- تفسير الماوردي النكت والعيون. تحقيق السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان بدون تاريخ.

- تفسير النسائي، (جزء من السنن الكبرى)، تحقيق: سيد الجليمي، وصبري الشافعي، مكتبة السنة، القاهرة ١٩٩٠ م.

- تقريب التهذيب، لابن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد عوامة، نشر: دار الرشيد، حلب ١٩٨٨

- التيسير في القراءات السبع، لأبي عمرو الداني، تحقيق: أوتو برتزل، جمعية المستشرقين الألمانية، استانبول ١٩٣٠ م مكتبة المثنى، بغداد.

- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لأبي جعفر الطبري، نشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر ١٩٦٨ م.

- الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله القرطبي، مصورة: دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٩٨٥ م.

- الجامع، لأبي عيسى الترمذي، تحقيق: د. بشار عواد معروف، نشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت ١٩٩٨ م.

- الدر المنثور في التفسير بالمأثور، لجلال الدين السيوطي، دار الفكر، بيروت ١٩٨٣ م.

- دلائل النبوة، لأبي بكر البيهقي، تحقيق: د. عبد المعطي قلعجي، نشر: دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٥ م.

- زاد المسير في علم التفسير، لأبي الفرج بن الجوزي، المكتب الإسلامي، دمشق- بيروت ١٩٦٤ م.

- السبعة في القراءات، لأبي بكر بن مجاهد، تحقيق: د. شوقي ضيف، دار المعارف بمصر ١٩٧٢ م.

- السنة، لأبي بكر بن أبي عاصم، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت- دمشق ١٩٨٠ م.

- السنة، لمحمد بن نصر المروزي، تحقيق: سالم بن أحمد، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت ١٩٨٨ م.

- السنن الكبرى، لأبي بكر البيهقي، دار المعرفة ببيروت عن طبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدرآباد ١٣٥٥ هـ.

- السنن الكبرى، لأبي عبد الرحمن النسائي، تحقيق: د. عبد الغفار البنداري، وسيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩١ م.

- السنن، لأبي الحسن الدارقطني، تحقيق: عبد الله هاشم يماني، دار المحاسن، القاهرة ١٩٦٦ م

- السنن، لأبي داود السجستاني، تحقيق: عزت الدعاس وعادل السيد، دار الحديث، حمص ١٩٧٤ م.

- السنن، لأبي عبد الرحمن النسائي، اعتناء: عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب ١٩٨٦ م.

- السنن، لأبي عبد الله بن ماجة، تحقيق: د. بشار عواد معروف، دار الجيل، بيروت ١٩٩٨

- شرح مشكل الآثار، لأبي جعفر الطحاوي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٩٤ م.

- شعب الإيمان، لأبي بكر البيهقي، تحقيق: محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٠ م.

- الصحيح، لأبي بكر بن خزيمة، تحقيق: د. محمد مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت ١٩٧٩ م.

- الصحيح، لأبي عبد الله البخاري، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، دار القلم، دمشق- بيروت ١٩٨١ م.

- الصحيح، لمسلم بن الحجاج، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، المكتبة الإسلامية، استانبول.

- فتح الباري لابن حجر العسقلاني، دار المعرفة، بيروت عن طبعة محب الدين الخطيب.

- فتح القدير لمحمد بن علي الشوكاني، تحقيق: د. عبد الرحمن عميرة، دار الوفاء، المنصورة ١٩٩٧ م.

- الكشاف عن حقائق التنزيل، لجار الله الزمخشري، دار المعرفة، بيروت

- لباب النقول في أسباب النزول، لجلال الدين السيوطي، دار إحياء العلوم، بيروت ١٩٧٩ م.

- لسان العرب، لجمال الدين ابن منظور، دار صادر، بيروت.

- مباحث في علوم القرآن، لمناع القطان، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٨١ م.

- مجاز القرآن لأبي عبيدة معمر بن المثنى، تحقيق: محمد فؤاد سزكين، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٨١ م.

- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لأبي محمد عبد الحق بن عطية الغرناطي، تحقيق: الرحالي الفاروقي وآخرين، دولة قطر ١٩٧٧ م.

- مختصر تفسير المنار، لمحمد رشيد رضا، تتمة وتعليق: محمد أحمد كنعان، المكتب الإسلامي، دمشق- بيروت ١٩٨٤ م.

- المراسيل لأبي داود السجستاني، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، نشر: مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٨٨ م.

- المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز، لأبي شامة المقدسي، دار المعرفة، بيروت.

- المستدرك على الصحيحين، لأبي عبد الله الحاكم، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، نشر: دار الكتب العلمية، بيروت (١٩٩٠ م).

- مسند الشاميين لأبي القاسم الطبراني، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٨٩ - ١٩٩٦ م.

- المسند لأبي داود الطيالسي، دار الكتاب اللبناني- دار التوفيق، بيروت، دائرة المعارف العثمانية بحيدرآباد، الهند.

- المسند لأبي عبد الله أحمد بن حنبل، مصورة المكتب الإسلامي، بيروت ١٩٧٨ م، ونشرة الشيخ أحمد محمد شاكر (أنبه عليها في مواضعها)،

ونشرة مؤسسة الرسالة بتحقيق: شعيب الأرنؤوط ومجموعته، (والعزو إليها يتميز بأرقام الأحاديث).

- المسند، لأبي يعلى الموصلي، تحقيق: حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث، دمشق ١٩٨٤ - ١٩٨٨ م.

- المصاحف لأبي بكر بن أبي داود السجستاني، تحقيق: د. آثر جفري، المطبعة الرحمانية سنة ١٩٣٦ م.

- المصنف لأبي بكر بن أبي شيبة، تحقيق: عبد الخالق الأفغاني وغيره، الدار السلفية، بومباي، الهند ١٩٨٣ م، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٥ م

- المصنف لعبد الرزاق الصنعاني، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، المجلس العلمي، باكستان- الهند ١٩٧٠ - ١٩٧٢ م.

- معالم التنزيل، للحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: محمد النمر وعثمان ضميرية وسليمان الحرش، دار طيبة، الرياض ١٩٩٧ م.

- المعجم الأوسط لأبي القاسم الطبراني، تحقيق: د. محمود الطحان، مكتبة المعارف، الرياض ١٩٨٥ - ١٩٩٥ م.

- المعجم الصغير لأبي القاسم الطبراني، تحقيق: كمال يوسف الحوت، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت ١٩٨٦ م.

- المعجم الكبير للطبراني، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، نشر: وزارة الأوقاف، بغداد ١٩٧٨ - ١٩٨٣ م.

- معجم مقاييس اللغة لأبي الحسين بن فارس، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، نشر: مكتبة الخانجي، القاهرة ١٩٨١ م.

- المغني، لأبي محمد بن قدامة المقدسي، نشر: مكتبة الرياض

- الملل والنحل، للشهرستاني، تحقيق: محمد عبد القادر الفاضلي، المكتبة العصرية، بيروت ٢٠٠٠ م.

- الموافقات في أصول الشريعة، لأبي إسحاق الشاطبي، تحقيق: محمد عبد الله دراز، دار الباز، عن طبعة المكتبة التجارية الكبرى، مصر.

- الموطأ، للإمام مالك بن أنس، رواية: يحيى الليثي، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت ١٩٩٦ م.

- الناسخ والمنسوخ، لأبي جعفر النحاس، تحقيق: د. محمد عبد السلام محمد، مكتبة الفلاح، الكويت ١٩٨٨ م.

- الناسخ والمنسوخ، لأبي عبيد القاسم بن سلام الهروي، تحقيق: محمد بن صالح المديفر، نشر: مكتبة الرشد، الرياض ١٩٩٠ م.

- النشر في القراءات العشر، لأبي الخير ابن الجزري، تحقيق: علي محمد الضباع، دار الفكر، بيروت.

- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، لبرهان الدين البقاعي، دائرة المعارف العثمانية، الهند ١٩٦٩ م.

- نكت الانتصار لنقل القرآن، لأبي بكر الباقلاني، تحقيق: محمد زغلول سلام، منشأة المعارف، الإسكندرية ١٩٧١ م.

- نواسخ القرآن، لأبي الفرج ابن الجوزي، تحقيق: محمد أشرف الملباري، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة ١٩٨٤ م.

- الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لأبي الحسن الواحدي، تحقيق: صفوت عدنان داودي، دار القلم، دمشق- الدار الشامية، بيروت ١٩٩٥ م.

- الوسيط في تفسير القرآن المجيد، لأبي الحسن الواحدي، تحقيق: عادل عبد الموجود وآخرين، نشر: دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٤ م.

وهناك مراجع أخرى تعلم من خلال مطالعة البحث.

فهرس الموضوعات

المقدمة

المطلب الأول التعريف بسورة النبأ

المطلب الثاني : تفسير آيات السورة الكريمة

الموضوع الأول : موقف الكفار من البعث

الموضوع الثاني : نماذج من مظاهر قدرته سبحانه.

الموضوع الثالث : الحديث عن يوم الفصل وأهواله

الموضوع الرابع : الحديث عن أحوال الطاغين يوم القيامة

الموضوع الخامس : الحديث عن جزاء المتقين

الموضوع السادس : من أهوال يوم القيامة

الخاتمة

أهم المراجع

الفهرس

والله الموفق